الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عباس لغرور – خنشلة–

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم : العلوم الإنسانية

شعبة : التاريخ

مشروع الإصلاح في فكر المؤرخ أحمد توفيق المدني

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية

إعداد الطالبتين:

* نورالدين فريال

* تيزقي زعيمة

إشراف الأستاذ:

* خليفي رفيق

لجنة المناقشة:

الإسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
صالح بوعناقة	أستاذ مساعد – ب–	جامعة عباس لغرور خنشلة	رئيسا
رفيق خليفي	أستاذ محاضر – أ–	جامعة عباس لغرور خنشلة	مشرفا ومقررا
عيسى ليتيم	أستاذ التعليم العالي	جامعة عباس لغرور خنشلة	مناقشا

السنة الجامعية: 2022– 2023

بسم الله الرحمن الرحيم

بسماللهالرحمنالرحيم:

" **ولئن شكرتم لأزيدنكم**"... **سورة إبراهيم الآية07**صدقاللهالعظيم.

لايسعنافيهذاالمقامإلاأننقول:

الشكر لك ربنا أن وفقتنا في التغلب على صعاب هذه المسيرة العلمية، وجعلتنا على جسر الحق

سائرين ولمنابع العلم طالبين،ولك كل الشكر والحمد فيجعلنا من الفائزين.

ولقول رسول الله– صلى الله عليه وسلم _ "**من لم يشكر الناس لم يشكر الله**"

لذا نتقدم باسمي آيات الشكر والعرفان والتقدير للأستاذ " رفيق خليفي"، المشرف على هذا العمل العلمي، والذي أمدنا بنصائحه السديدة لنا حتى اكتمل هذا البحث وبلغ تمامه .

وأتمنى له دوام الصحة والعافية .

كما نوجه شكرنا لكل الأساتذة المشرفون على مناقشة المذكرة على ما سوف يقدمونه من توجيهات

ونتقدم بخالص الشكر إلى كل من دعمنا علميا ومعنويا ونخص بالذكر:

دنيا مربحي، سمية أشواق مرازقية ، سلمى شباح،

وإلى كل من ساعدنا في إتمام هذا العمل ...بنصيحة أو كلمة طيبة.

ولا ننسى في الأخير شكر زملائنا في الدفعة ونخص بالذكر:

شهرة عرواوي، آمال بركاني، ميمونة عفوفو.

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ **صدق الله العظيم**

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك، ولا يطيب النهار إلا بطاعتك، ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك، ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك، ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك يا رحمن يا رحيم.

إلى منارة العلم والإمام المصطفى، إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ... ونصح الأمة... إلى نبي الرحمة ونور العالمين سيدنا محمد صلى اله عليه وسلم .

إلى النور الذي أضاء دربي وجعل السعادة والحب رمزا يحمله قلبي... إلى سر وجودي...رجائي في شدتي وعزائي... إلى من كرس حياتهما في سبيل سعادتي ... إلى من تعب كثيرا من تربيتي وتعليمي، وسأظل أعترف بجميلهما مدى الحياة إلى القلبين الكبيرين الذين لا يعرفان إلا الحب والعطاء،

إلى قائدي وقدوتي، إلى الذي يختتم اسمي باسمه أدامه الله لي: أبي الحبيب " جمال"

إلى التي أشرقت فجر حياتي، إلى من لم يعرف القلم طريقها فأنارت بحبها وعطفها دربي إلى

أمي الحنونة الغالية: "نصيرة"

إلى أعز ما أملك في الوجود ومصدر ثقتي بنفسي وسندي إخوتي: فؤاد ، عبيدة ، وفاء، يوسف

وإلى زوجة الأخ: " دنيا ".

إلى أجمل نغمة في الوجود، إلى من زرعوا البسمة في وجوهنا الكتاكيت: أسينات ، ريناد حفظهما الله

إلى الشموع التي انطفأت في الحياة ولم تنطفئ في قلبي:**ابنة خالي**: الكتكوتة بشرى ،**جدي**: صالح، **جدتي**: علجية،و فاطمة) رحمهما الله.

إلى كل أقاربي: جدي – أعمامي وعماتي – أخوالي وخالاتي .

إلى من جمعتني بها مظلة الأخوة وقاسمتني حلو الحياة ومرها إبنة خالتي: أشواق

إلى صديقتي التي كانت أختي في المقام الأول: "رانيا عفوفو"

إلى كل عائلة نورالدين صغيرها وكبيرها، إلى كل من ذكرهم قلبي ونسيهم قلمي

نور الدين فريال

إهداء

إلى ملاكي في الحياة من جرع الكأس فارغا ليسقيني قطرة حب، إلى من كلت أناملها ليقدم لنا لحظة سعادة، إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم، إلى القلب الكبير أبي الغالي... "**بلقاسم**"

إلى أحلى هدية في الحياة، إلى معنى الحب والحنان، إلى بسمة الحياة وسر الوجود وأنقى إنسان على وجه الأرض، بحر الاطمنان وسريان الأمان، إلى من كان دعائها سر نجاحها أمي الغالية..."**ربعية**"

كلمتان ما أتقاهما حفظهما الله وجعل لي في كل يوم تقوامها وأين ما كنت في مقامي أبغى رضاهما.

إلىزوجةأبي"**سعدية**"

إلى من كانوا يضيئون لي الطريق ويساندونني ويتنازلون عن حقوقهم لإرضائي والعيش في هناء أخواتي: نورة ، نجاة، سمية، فريدة ، فردوس... أهدي هذا العمل.

إلى عمي الحنون مثل الأب الثاني لي " ربيعي"، وزوجته " "

إلى أعمامي وعماتي وأولادهم، إلى أخوالي وخالاتي وأولادهم.

إلى من تحلوا بالإخاء، وتميزوا بالوفاء، والعطاء إلى ينابيع الصدق الصافي، إلى من معهم سعدت، وبرفقتهم في دروب الحياة الحلوة والحزينة سرت...يسرى،رانيا، شهرة

تيزقي زعيمة

مقدمة:

مقدمة:

مع بداية القرن العشرين مرت الجزائر بظروف سياسية، واجتماعية، وثقافية، متمثلة في تفكيك البنية المجتمعية للشعب الجزائري، تحطيم التعليم العربي في الجزائر و إحلال محله التعليم الفرنسي، متأثرة بالسياسة الفرنسية التعسفية المنتهجة فيها ضد الشعب، مستهدفة هويتهم ومعتقداتهم وتراثهم وحضارتهم، ، لذلك كان لابد من إصلاح العمل الذي جاء كرسالة من النخبة الجزائرية المثقفة تبعث نهضة وطنية قوامها العلم والأخلاق، و لحماية الشخصية الجزائرية من الانحلال في النسق الغربي الذي يمثله الاستعمار الفرنسي. باعتبار الإصلاح الأساس الذي تقوم عليه الهوية وحياة الشعب الجزائري، الهادف إلى الحفاظ على مقومات الشخصية الجزائرية، وإصلاح المجتمع والنهوض به، وذلك بالقضاء على بعض المظاهر السلبية وإحياء المظاهر الإيجابية به، حيث أعطى الشعب الجزائري الإحساس بالعزة الوطنية ونفخت فيه روح الافتخار بالانتماء إلى الوطن العربي الإسلامي، ومن بين الشخصيات الجزائرية اللامعة في سماء النخبة الجزائرية، نظرا لمستواها العلمي والفكري وجهودها الإصلاحية وأيمانها الراسخ بالحفاظ على المقومات الشخصية للأمة الجزائرية ، خاصة مع الوجود الاستعماري الذي لا يعترف بأي شيء وطني، لذلك كرسوا كل وقتهم ومالهم وجهدهم للدفاع عن الدين واللغة والوطن، شخصية "أحمد توفيق المدني" الذي يعد واحدا من الشخصيات الهامة في تاريخ الفكر الإصلاحي في الجزائر، فقد اشتهر بأفكاره المبتكرة والمتجددة التي أسهمت في إعادة النظر في العديد من المفاهيم الإسلامية، التي عرفها المجتمع الجزائري بعد قرون، ولقد كانت للظروف الاجتماعية والتاريخية دور كبير في تكوين شخصية المدني وجعلته يسعى إلى تحقيق مشروع الإصلاح.

وعلى الرغم من أن الإصلاح مفهوم قديم في الفكر الإسلامي، إلا أن المدني نظر إليه من زوايا جديدة ومختلفة، وركز على بعض الجوانب المهمة التي تشكلت في فترة النهضة العلمية والثقافية في العالم الإسلامي، والتي كان المدني يتأثر بها بشكل كبير، كما اعتمد المدني في مشروعه على العقل والتنوير والاستقلالية في الفكر، وعمل على إعادة النظر في

المفاهيم الدينية التي كانت تعيش بها المجتمعات الإسلامية، والعمل على تحقيق المساواة بين الناس وتطبيق العدالة الاجتماعية.

- ومن هذا المنطلق يمكن فهم الإشكالية على أنها المحاولة البحثية لفهم فكر المؤرخ أحمد توفيق المدني وما يحمله من توجهات وأفكار حول مشروع الإصلاح في المجتمع العربي، وكيف يمكن تطبيق هذا المشروع في الوقت الحالي؟

-وتندرج تحت هذه الإشكالية الرئيسة عدة تساؤلات أهمها:

-أهم المؤثرات التي ساهمت في إثراء فكر وتكوين شخصية أحمد توفيق المدني

- ما مدى إسهامه في ظهور إحدى أهم الجمعيات الإصلاحية في الجزائر؟

- ما هي مواقفه من الحركة الاستعمارية؟ وما طبيعة خطابه الموجه للمستعمرين؟

- ما هي أبرز مواقفه اتجاه قضايا عصره؟

- كيف فهم التاريخ ووظفه لخدمة الوطن؟

*** الأهمية والهدف من دراسة هذا الموضوع:**

للموضوع أهمية علمية كونه يتناول علم من أعلام الجزائر المصلحين الذين أسهموا بفيض وافر في إحياء القيم الإسلامية في وقت عصيب، حيث كان له دور كبير في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فجاءت هذه الدراسة بهدف تسليط الضوء على حياة المدني وأهم أعماله وإسهاماته في تاريخ الحركة الإصلاحية الجزائرية، وكون هذه الشخصية لها ميزتها الخاصة في الجانب الإصلاحي ومواجهة الاحتلال وأشباه الاحتلال من رجال الطرقية الموالين له وهو ما أعطى الموضوع الأهمية الأكبر. بالإضافة إلى إبراز دور أحمد توفيق المدني في القضية الجزائرية على الصعيد السياسي، الاجتماعي، والثقافي ، والكشف عن الطرق التي استعملها من خلال الدفاع عن الدين الإسلامي واللغة العربية للأمة الجزائرية.

***الدراسات السابقة:**

هناك مجموعة من الدراسات السابقة التي تناولت دراسة "أحمد توفيق المدني " حتى وإن اختلفت من ناحية العنوان، وعليه نذكر أهمها:

-**دراسة عبد القادر خليفي:** "أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر1893-1983"،هدفت هذه الدراسةوهي رسالة جامعية إلى إبراز تجربة أحمد توفيق المدني في الميادين النضالية سواء على الساحة السياسية أو من خلال مؤلفاته التاريخية، وتوصلت هذه الدراسة إلى أن هذه الشخصية الوطنية لم تعرف كللا ولا مللا في مواجهة الأخطار الاستعمارية، وركزت هذه الدراسة أكثر على نشاطه السياسي والصحفي في الساحة التونسية والجزائرية، ولم تتعمق لأكثر في دراسة كل مؤلفاته التاريخية. بالإضافة إلى مقاله المعنون ب "**الكتابات التاريخية وبعث الوطنية الجزائرية في ظل الحقبة الكولونيالية دراسة نماذج من إسهامات "أحمد توفيق المدني" خلال الفترة (1931-1950م)**:استفدنا منه بذكره لنماذج من إسهاماته في بعث الذاكرة التاريخية الوطنية.

- إضافة إلى بعض الدراسات التي ركزت على وجهة نظر المدني في الخطاب التاريخي الإصلاحي في الحركة الوطنية، وغرس فكرة الوطن والسيادة والحرية، كدراسة " محمد غالم" التي جاءت على شكل مقال تحت عنوان "**براديقما المقاومة في الخطاب التاريخي الإصلاحي أحمد توفيق المدني نموذجا**".

***أسباب اختيار الموضوع:**

إن الدافع لاختيارنا لهذا الموضوع، هو الرغبة والميل في الإطلاع على هذا النوع من الفكر المبدع، نظرا لما قدمه المدني من أفكار تجديدية من أجل الإسلام والعروبة والوطن ، ومحاربته للطرق الصوفية والبدع والخرافات، معرفة المنهج والأسلوب الذي اعتمده الشيخ أحمد توفيق المدني في طرح أفكاره وتجسيد جهوده في الدفاع غن الهوية الجزائرية، ومحاولة معرفة خلفيات وحقيقة الانتقادات الموجهة إليه من قبل بعض المعاصرين للحركة الإصلاحية الجزائرية.

***مصادر البحث:**

من أجل انجاز هذه الدراسة اعتمدنا على كتابات ومقالات أحمد توفيق المدني باعتبارها المصدر الأساس وأهمها:

-**مذكراته المعنونة بـ: حياة كفاح**، التي تناول فيها حياته منذ ولادته ونشاطاته إلى غاية نفيه للجزائر، بعدها تطرق في الجزء الثاني للتحدث عن أوضاعه بعد نفيه للجزائر، وكيف استطاع بنشاطاته أن ينظم للحركة الوطنية الجزائرية بجانب "عبد الحميد بن باديس" في إنشاء كل من نادي الترقي وجمعية العلماء المسلمين، وكذا بيان فيفري 1943، وجبهة الدفاع عن الحرية واحترامها، بالإضافة إلى الجزء الثالث الذي أفادنا أثناء دراسة مؤلفاته الأخرى ككتاب الجزائر وقرطاجنة في أربعة عصور.

- **كتاب الجزائر**: الذي جاء كرد على الاحتفالات المئوية سنة 1930 وتعبيرا عن رفضه لفكرة أن الجزائر فرنسية، إلا أنه ذهب إلى أبعد من ذلك حين تكلم عن الجزائر وتاريخها الطويل الذي يتجاوز عتبة 1830 كما روج لها الفرنسيين، تضمن الكتاب الوضعية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية للجزائر، كما تضمن بعض مواقف ودعوة المدني إلى إصلاح نظام التعليم.

- **كتاب رد أديب على حملة الأكاذيب**: والذي جاء كرد على ما لحق المدني من اتهامات في كتابة تاريخ الجزائر، كما تحدث فيه عن تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودوره في تأسيس نادي الترقي.

- **المادة الإعلامية** التي جاءت بها جريدة الشهاب والتي احتوت على مجموعة من مقالات المدني، كتب فيها كثيرا خاصة في ركنها المعروف " الشهر السياسي"

- جريدة المنار التي ضمت مجموعة من المقالات حول جبهة الدفاع عن الحرية واحترامها، مبينة اسم " المدني" من بين مؤسسها

– بالإضافة إلى جريدة البصائر التي خصص المدني في ركنها الشهير "منبر السياسة العالمية" واشتملت على مئات المقالات التي تميزت بالدفاع عن قضايا المغرب والمشرق العربي، ومناهضة الصهيونية والاستعمار الأوروبي.

– **كتاب الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر**: "الجزءان الأول والثاني" للمؤلف "عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون " استفدنا منه في البحث عن الآثار العلمية لأحمد توفيق المدني من خلال طرح بعض القضايا المتعلقة بنشاط الجبهة الجزائرية ، وبيان الشعب الجزائري.

*** منهج الدراسة:**

وللإجابة على هذا الإشكال وللإلمام بجوانب الموضوع اعتمدنا على جملة من المناهج وهي:

المنهج الوصفي: اعتمدنا عليه في تتبع الأحداث التاريخية ووصفها ، بحالتها الطبيعية زيادةأو وترتيبها بشكل متسلسل ، وكل ما يتعلق بوصف حياة المدني بدقة.

المنهج التحليلي: سلكناه عندما قمنا بعرض وتحليل الأحداث وآثار المؤرخ واستنتاج الحقائق بكل موضوعية بعيدا عن التحيز والذاتية، بالإضافة إلى تحليل بعض المقالات التي كتبها المدني في الجرائد.

المنهج الإحصائي: قمنا ببعض الإحصائيات التي تخص المادة الإعلامية، التي كتبها المدني في الجريدة، طيلة فترة محل الدراسة من (1925–1954م).

***آفاق البحث:**

وكأي بحث في ميدان العلوم الإنسانية، فمؤكد أن عملنا هذا لا يخلوا من النقائص التي حدثت سهوا، رغم سعينا المستمر لتقديم عمل تام، فهو يبقى محل بحث وإسهام، ويستحق الدراسة بشكل معمق من عدة جوانب، كما أن أحمد توفيق المدني لها وزن في المجتمع الفكري والسياسي،بكونه أحد أبرز أقطاب الحركة الإصلاحية، لذلك فالبحث في مثل هذه المواضيع، يزيد من قيمة العمل الأكاديمي.

الفصل الأول:

مقومات الفكر الإصلاحي لأحمد توفيق المدني

تمهيد:

تعد شخصية أحمد توفيق المدني واحدة من الشخصيات الهامة ، فقد اشتهر بأفكاره المبتكرة والمتجددة التي أسهمت في إعادة النظر في العديد من المفاهيم الإسلامية التي عرفها المجتمع المسلم بعدة قرون، ولقد كانت للظروف الاجتماعية والتاريخية دور كبير في تكوين شخصية المدني وجعلته يسعى إلى تحقيق مشروع الإصلاح.

I- العوامل المؤثرة في تكوين شخصية أحمد توفيق المدني:

غفلت الدراسات السابقة عن ذكر بعض العوامل التي ساهمت في التأثير في شخصية أحمد توفيق المدني متناسين بذلك بعض الأحداث التي كان لها تأثير كبير في صقل شخصيته وعليه سنذكر أهمها:

1- بيئة النشأة:

أ- البيئة الأسرية:

أثرت البيئة الأسرية في شخصية أحمد توفيق المدني،* لأن أسرته شاركت في المعارك الجهادية ضد الاستعمار، فكان في صغره يستمع لما يدور في مجالس الأسرة ويتأثر بها،[1] وهو في السادسة من عمره فقط، حيث عبر عن ذلك قائلا:[2]«... كانت تروى على مسمع مني وأنا صغير، وقائع معينة عما قاساه شعبي وأمتي، وأهلي وعشيرتي، من دروس قاسية وعنيفة حول أحاديث القتال والمقاومة والتضحية والفداء»، استجاب لها وتأثر بها مما يدل على الذكاء والقيادة والسرعة، لأن الجو العائلي كان مثل المدرسة الأولى.عملت والدته "عائشة بويراز" على تعليمه سور القرآن وبعض الأحاديث النبوية،[3] وكل هذا ساهم في بناء شخصية حسنة التنشئة والأخلاق الحميدة، أما والده فهو أيضا اجتهد في تربيته أحسن تربية، و استفاد كثيرا من نصائحه وتوجيهاته، بينما دار جده أي والد أمه، فساهمت هي الأخرى في تكوينه، وعبر عنها بقوله:[4]«... كانت دار جدي مدرسة حقيقية، سامية الأهداف، رفيعة

---

*ولد في تونس 1 أكتوبر 1899، تعلم القراءة والكتابة سنة 1905، نفي إلى الجزائر، محرر الشهر السياسي والشمال الإفريقي في مجلة الشهاب، محرر منبر السياسة العالمية في جريدة البصائر، نائب رئيس الجمعية الخيرية الإسلامية التي كان مركزها نادي الترقي، توفي سنة 1983. ينظر: محمد حسن فضلاء، من أعلام الإصلاح في الجزائر، دار الهومة ،2002، 1/ص 96 -97

[1]محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985، 4/ 236.

[2]المدني، حياة كفاح، 1/ 22.

[3]المصدر نفسه، 1/ 39.

[4]المصدر نفسه، 1/ 45.

العماد، تحتوي على خير ما في الدين، وعلى خير ما في الدنيا»، اعتاد أن يلتقي بها مع أفراد الأسرة الآخرين، فيلقي عليهم جده دروسا دينية مختلفة، بعد أن توقف عن ذكر الاحتلال الفرنسي للجزائر ومآسيه وفظائعه ومذابحه، باستخدام عبارات استفزازيةلجعلالمتلقي يشعر بالدموع.[1]

كما كان لبيت خاله "محمد بويراز" تأثير كبير عليه، كان أشبهبالمدرسة التي أثارت أفكاره، وأيقظت مشاعره قائلا: «هي المدرسة التي أثارت فكري ... وألقت بي في ميادين الحياة العامة»، كما اعتزم المدني أن يغادر خاله البيت ليأخذ أعداد من مجلات "العروة الوثقى والمؤيد واللواء ولسان الحزب الوطني المصري"، ويقرأها بشغف، بالإضافة إلى ذلك لوجوده بدار خال أمه جعله يواجه عددالحقائق التي كان يعيشها المجتمع التونسي، مما أدى إلى ذهوله من هول المشاهد اللاأخلاقية وانتشار الرذائل،معتقدا أنه وفقالعيشه في بيئة أسرية محافظة، هو نفس ما يعيشه المجتمع التونسي.[2]

ب- عبد العزيز الثعالبي والمدرسة القرآنية:

أثناء حفل مقام بالمدرسة القرآنية الأهلية، برز من بينهم أحمد توفيق المدني الذي انزعج مما ألقاه خير الله بن مصطفى* على وسام شرف الفرنسي "ليجيوندونور"، بسبب خطابه الممجد لفرنسا وأعمالها،[3] صعد المدني للرد على أقواله مع مجموعة من الطلبة من خلال نشيد ألقوه أمام الحضور، بحيث لقي استحسان وتقبل كبيرين من طرف الحضور.[4]

---

[1] المدني، حياة كفاح، 1/ 46.

[2] المصدر نفسه، 1/ 50.

* ولد سنة 1867م، مواطن وموظف سياسي أجنبي الأصل، وجيء به إلى تونس وأسندت له رئاسة جمعية قدماء الصادقية سنة 1905م، شارك في مؤتمر باريس 1908، وكان عضو في جريدة التونسي. ينظر: الصادق الزمرلي، أعلام تونسيون، تعريب: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1986م، ص 319- 323.

[3] المدني، حياة كفاح، 1/ 78.

[4] المدني، حياة كفاح، 1/ 78.

وقام من بين الحضور "عبد العزيز الثعالبي"* ليخطب بكل حماسة ولهجة قوية أخاذة، كانت نبراته تخترق الآذان وتدخل صميم القلوب، وفي وسط ذهول وإعجاب كبير من أحمد توفيق المدني، ما أوقد نارا داخلية وما أشعله حماسه قائلا:[1]«فمن سمعني أخطب، فكأنما يسمع الثعالبي في لهجته ونبراته، وقوة عارضته وشدة شكيمته...».

ج- حادث سينما النونيز:

قصة الحادثة هي أن أحمد توفيق المدني ذهب مع ابن خالته إلى السينما بها أغلب الحضور "يهود، فرنسيون، طاليان"، وأثناء ابتداء العرض قدم لهم شريط أخبار إيطالي يروي قصة نزول الطاليان في طرابلس بصفة غير واقعية كاستهزاء بالعرب، هذا ما أيقض الروح الثائرة به، فأخذ يصيح "هذا تدليس، هذا كذب، هذا تضليل"،[2] فبالرغم من بساطة الحادث، إلا أنه كان له المدلول الكبير والأثر البالغ في تكوينه الثائر وفي توجيهه نحو السبيل الذي سلكه منذ شبابه المبكر إلى اليوم،[3] والحاقد على كل من الطاليان والفرنسيين واليهود، وهذا واضح في كتاباته.[4]

د- دكان علي بوغدير:

هو دكان صغير بسوق الكتيبة، بتونس يحتوي على العديد من الكتب، كان الشباب الناهضون يترددون عليه، ويتناولون وهم بالطريق العام أمام الدكان، الأحاديث المختلفة عما قرؤوه، وعما سيقرؤونه، فلقد كان يمثل المأوى الذي يرتاح فيه المدني من خلال اقتنائه لأشهر الروايات المعبرة عن كبار المؤلفين الأوروبيين أمثال: "شكسبير" "Shakespeare"

---

*ولد في تونس سنة 1874م، أصدر جريدة سبيل الرشاد (1895/ 1897)، انتمى إلى حزب تونس الفتاة، ساهم في الحركة الوطنية، اعتقل سنة 1914، وأطلق سراحه سنة 1920، تولى رئاسة حزب الدستور التونسي، أصدر جريدة الإدارة، توفي سنة 1944. ينظر: مير بصري، أعلام الوطنية والقومية العربية، دار الحكمة، بيروت 1999، ص 121.

[1] حياة كفاح، 1/ 79.

[2] المدني، حياة كفاح، 1/ 86.

[3] المصدر نفسه، 1/ 85.

[4] المصدر نفسه، 1/ 87.

و "ميشال زيفاكو" "michelzivako"، وغيرهم لكن أحمد توفيق المدني أعجب يومئذ الإعجاب كله بروايات "ميشال زيفاكو" التاريخية، التي يترجمها بمهارة ودقة وبقلم ممتاز، الأستاذ الكبير "طانيوس عبده"، فقد اكتسب من خلالها معارف جديدة فتحت أمامه نافذة واسعة على عالم كان مجهولا بالنسبة له.[1]

هـ- الأوضاع السائدة:

بمقتضى اتفاقية المرسى في 08 جوان 1883م، التزمت الحكومة التونسية بإجراء الإصلاحات الداخلية من إدارية وعدلية ومالية التي تراها فرنسا مناسبة لمنح الباي حق الولاية على الرعايا التونسيين وإدارة شؤونهم الداخلية، وهذه الاتفاقية ذكرت لفظة الحماية لأول مرة،[2] فعقب انتصاب الحماية نشأت الحركة الوطنية التونسية بكل أقطارها، وهذا ما شهد تأثير كبيرا لطبقة العمال وأقطاب الفكر من الجزائريين والتونسيين على الساحة السياسية والفكرية في تونس، وكان ضمن هذه الكوكبة المعنية بالدفاع عن مطالب الشعب التونسي "أحمد توفيق المدني".[3]

ومما ذكره كذلك في مذكراته أنه عاصر أحداث مخزنة في حياة الأمة الإسلامية، وعلى وجه الخصوص الانقلاب الذي حدث عام 1909م، ضد السلطان عبد الحميد الثاني،[*] بالإضافة إلى الغزو الإيطالي لطرابلس سنة 1911م، التي على إثرها جمع أحمد توفيق المدني حوله بعض المتحمسين من أبناء المدرسة يطوفون بالحارات والمقاهي للتحريض على

---

[1] المدني، حياة كفاح، 1/ ص 96- 97.

[2] عبد الوهاب حسن حسني، خلاصة تاريخ تونس، ط، دار الكتب العربية الشرقية، تونس 1953م، ص 179.

[3] شارل أندري جوليان، افريقيا الشمالية تسير، الدار التونسية، 1979، ص 88- 89.

[*] ولد في 21 سبتمبر 1842، تولى العرش خلفا لأخيه مراد في 31 أوت 1876، كان حكمه عهد استقرار بالنسبة للدولة العثمانية، أنشأ مدينة بير السبة في جنوب فلسطين سنة 1901، تنازل عن العرش لأخيه السلطان محمد رشاد سنة 1909، توفي في 10 فيفري 1918. ينظر: محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي، القاهرة، 1994، ص 28، 41.

الجهاد، محاولا في نفس الوقت جمع المال للهلال الأحمر العثماني،[1] إضافة إلى حماسته لخطابة الناس وإلقاء قصائد الرصافي قائلا:[2]«... ألا انهض وشمر أيها الشرق للحرب ...»، وكل تلك الخطب أدت واجبها بإزالة الخمول والتخاذل عن التونسيين لتكتسي بذلك ثياب بطولة حقيقية، بالإضافة إلى أحداث معركة الزلاج، بتاريخ 07 نوفمبر 1911م، واعتبرها المدني بأنها مكيدة استعمارية، أراد الاستعمار الكبير من ورائها القضاء على الحركة التونسية الناشئة، وضرب الشعب ضربة قاسية،[3] وقد أحدثت هذه المعركة ردود فعل غاضبة، ما جعلت توفيق المدني يضطرم غضبا وحقدا على الطاليان والفرنسيين بسبب المجازر التي ارتكبوها بغير حق،[4] وكل هذه الأحداث تركت أثرا بليغا في شخصيته، وهكذا قادته جرأته في مواجهة السياسة الاستعمارية في تونس بمختلف الوسائل.

2- تأثير الكتب:

كان أحمد توفيق المدني يهتم بقضايا المجتمع والسياسة وكان يقرأ الكثير من الكتب السياسية والاجتماعية مما جعل له تأثير كبير في الكتابة في هذا المجال.

أ- رواية الوطن ونشيد صوت الحرية:

هي رواية تمثيلية كتبها الشاعر الثائر التركي العظيم "نامق باشا"، وقام بتعريبها الكاتب العربي الكبير "محي الدين الخياط"، ساهمت في توجيه أحمد توفيق المدني بدرجة كبيرة لأنها عملت على ترتيب وتهذيب وتحديث وانسجام في آرائه وأفكاره، خصوصا تأثره بشخصية "إسلام بك" في القصة، حيث يقول المدني:[5] "كان من إعجابي وتقديري للشخص –إسلام بك– وانغماس شخصيته النبيلة في كل كوني، عندما ولدت لأول مرة، بادرت بتسميته

[1] المدني، حياة كفاح، 1/ 65.
[2] المصدر نفسه، 1/ ص 66- 68.
[3] نفسه ، 1/ 70.
[4] نفسه، 1/ ص 75- 76.
[5] نفسه ، 1/ ص 91- 92.

بالإسلام، من بعده، كذكرى وكمرشد، أما النشيد صوت الحرية والوطن هو كذلك تأثر به، فلقد كان تصويرا لكل ما يعالجه من إحساس وشعور وتضحية وإقدام ولا يستطيع التعبير عنه".

3- تأثير الشخصيات التاريخية:

أ- الأستاذ حسين الجزيري، الصادق الرزقي، حسين حسني عبد الوهاب:

أعجب أحمد توفيق المدني بمقالات "حسان الجزيري" خصوصا مقاله ضد الخمر[1] الرامي لإصلاح المجتمع المنحل، حيث تأثر هذا الأخير بها والتي أعطت انطباعا وتوجها إصلاحيا، أما "الصادق الرزقي" كان يتردد إليه مترجمنا على مكتبة بالمدرسة الخلدونية لإعجابه بآرائه،[2] فقام بإهدائه مجموعة من الكتب تحتوي على إهداء مطول كان له دور بارز في التأثير العميق على شخصيته، مما خلق له اندفاعا كبيرا نحو إنقاذ الوطن وإعادة المجد للإسلام، بالإضافة إلى الأستاذ "حسين حسني عبد الوهاب" الذي قام بتدريس المدني في جامع الزيتونة مادة التاريخ، واستطاع أن يحببه في التاريخ ويبدوا ذلك في التوجه التاريخي لحياته العملية.[3]

ب- عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي:

أدى النضج المبكر واتساع أفق "أحمد توفيق المدني" إلى التقائه في تونس مع الشيخين عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي، اللذان كان لهما الأثر الكبير في شخصيته وحياته من خلال دفعه للتحرك السياسي مع الزعيم التونسي "عبد العزيز الثعالبي"،[4] حيث كان توفيق المدني كثير الإعجاب بهما خصوصا عبد الحميد بن باديس حيث قال عنه أنه

---

[1] المدني، حياة كفاح، 1/ 102.

[2] المصدر نفسه، 1/ 98.

[3] المصدر نفسه، 1/ 95.

[4] بسام العسلي، جهاد شعب الجزائر "عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية"، ط7، دار النفائس، ص 169-171.

كان الجيل الحادي عشر من ذلك الجيل الأول الذي أرسله عمر بن عبد العزيز إلى المغرب العربي، ليعلم الناس دينهم ويحدد عقيدتهم، ويقوي أخلاقهم، ويعلمهم على طريق الاستقامة.[1]

[1] صالح علواني، أحمد توفيق المدني التونسي الجزائري المصلح والمناضل من خلال مذكراته (1915- 1925)،8 أفريل 2023، http:// aca-demie.edu.com

II- وسائل تحقيق المشروع:

يقتصر النشاط الصحفي للمدني على كتابة مقالاته في مختلف الأحداث السياسية الوطنية والعالمية آنذاك، وخصوصا في جريدة الشهاب، والبصائر، وبدرجة أقل في جريدة الإصلاح، وبروزه في عالم الكتابة الإعلامية ونوعيتها النضالية.

بالإضافة إلى دوره في إنشاء أهم المنتديات الثقافية، نادي الترقي بالعاصمة، والذي انطلق من خلاله العديد من المشاريع، كان من أهمها ميلاد العلماء، المسلمين الجزائريين سنة 1931، وكذلك معالجة جانب هام من حركة النضال المدني على المستوى الفني، حيث أبرزنا وجهة نظره في المواجهة مع المستعمر.

1- الصحافة:

اتخذ المصلحون الجزائريون الصحافة وسيلة أساسية منذ 1925م، لنشر أفكارهم ومحاولة التخلص من الركود الذي ساد المسلمين في الجزائر، بهدف إصلاح المجتمع والنهوض به بكل جوانبه،[1] ويقول "أبو القاسم سعد الله" أن مصطلح الصحافة الوطنية في العهد الاستعماري، يعني الصحافة التي تعبر عن الاتجاهات الوطنية سواء، كانت متطرفة أو معتدلة، سواء باللغة العربية أو الفرنسية.[2]

ظهرت الصحافة الوطنية الجزائرية في بداية القرن العشرين بضعف الإنتاج وسوء الأسلوب، لكنها اهتمت بالقضايا الوطنية، فكانت الصحافة كفاحا مستمرا ضد الفساد والاضطهاد، والقوانين غير العادلة الاستثنائية.

---

[1] المدني، حياة كفاح، 2/ 379.

[2] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1990، 3/ 87.

كان الفن الصحفي ومستوى الكتابة مختلفين، بشكل عام في جميع الصحف الجزائرية ومليئ بالأخطاء في اللغة والأسلوب، و الاكتفاءبصحافة جمعية العلماء، التي كانت صحفها أكثر دقة وعناية من حيث الأسلوب واللغة.[1]

وتبنت الحركة الإصلاحية عدة صحف تحمل آرائها ومبادئها وتنشر دعوتها مستغلة في ذلك إيجاز القانون في إصدار الصحف، كما استخدمتها كسلاح خطير، ضد معارضيها من الإدارة الاستعمارية ورجال الطرقية، وضد كل من سارعلى خطى المحتلين، ولعل أبرز الصحف التي مثلت التيار الوطني الإصلاحي، نجد الشهاب والبصائر والإصلاح، وهي الصحف التي جذبت الكثير من العلماء والمصلحين للكتابة فيها.[2]

يعد أحمد توفيق المدني من الذين تركوا بصماتهم الواضحة على أعمدتها، والواقع أن نشاط المدني وحسه الصحفي ليس جديدين بل يعودان إلى المراحل الأولى من شبابه، كما أن إيمان توفيق المدني برسالة الصحافة، ودورها الجهادي، وخدمتها لتطلعات الشعب كان عميقا وهذا واضح في قوله:[3]«وأني لأعتبر نفسي مجرما إذا أنا عمرت بياض صحيفة بكلام لا يكون من ورائه أي نفع للشعب والبلاد»، فعلى الرغم مما تعرض له كتاب الصحف والمجلات من قبل سلطات الإدارة الاستعمارية، إلا أنهم أصروا على الاستمرار والاستعمار في هذا المجال، حيث لجأوا إلى التوقيع بالإمضاءات المستعارة رغم خطورة الموقف، فضلا عن الصعوبات التي واجهتها، تعيق عملهم الصحفي.[4]

فبخصوص أحمد توفيق المدني، فمن الملاحظ أن توقيعاته كانت متنوعة، ولعل أشهرها: "المنصور"، "وأبو محمد"، كما وقد عديد المقالات في صحف مختلفة.

---

[1] عبد الرحمان عواطف، الصحافة العربية في الجزائر 1954– 1962، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985، ص 33.

[2] عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931– 1945، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة 1981، ص140.

[3] أحمد توفيق المدني، كلمة أخيرة، الشهاب، 100، 9 جوان 1927، ص 08.

[4] عبد الرحمان عواطف، الصحافة العربية، ص39.

*** المدني والشهاب:**

الشهاب جريدة أسبوعية صدرت في 12 نوفمبر 1925م ومؤسسها الشيخ عبد الحميد بن باديس، ثم تحولت إلى نصف شهرية واستمرت إلى غاية سنة 1939م، وكانت تعالج العديد من المواضيع والقضايا، ليست فقط ذات الطابع الديني بل قضايا إقليمية وإفريقية وعالمية.[1]

لقد كانت الشهاب قبلة أفكار المدني المحور السياسي لها، باعتباره سياسي و أحد كتابها وعن بدايات مشاركته في الشهاب، ذكر المدني ذلك قائلا:[2]«تعهدت لابن باديس وأصحابه، أن أحرر لهم مقالا لكل عدد من الشهاب الأسبوعي، يتناول السياسة الخارجية بصفة توجيهية ... كما اتفقنا على أن يكون مقالي خلوا من كل إمضاء، حتى لا تتخذ الإدارة من ذلك ذريعة لإلحاق الأذى بالشهاب، بدعوى أنني من رجال اللجنة التنفيذية بالحزب الدستوري التونسي».

ويبدو أن جريدة الشهاب اتسمت بالمرونة السياسية التي ساعدتها على الاستمرار في الصدور حتى عام 1839، وكان من كتابها توفيق المدني، المتخصص بالكتابة عن المجتمع الجزائري، والشهر السياسي،[3] وهو ما أكده أحد المعاصرين الذي قال، بأن المدني كان يكتب فصلا بعنوان "في المجتمع الجزائري" بالشهاب، ودائما ما كان يحررالفصل الخاص "بالشهر السياسي" دائما، والذي كان ركيزة سياسيةبحتة، مماجعل قراء الشهاب على دراية بمسار الأحداث العالمية خلال شهر، وتمتقسيم هذا الركن فيما بعد إلى عنوانين هما: "في الشمال الإفريقي" و "الشهر السياسي في عالمي الشرق والغرب".[4]

---

[1] الحواس الوناس، نادي الترقي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية 1927- 1954، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2012، ص 184.

[2] أحمد توفيق المدني، "عبد الحميد بن باديس الرجل العظيم"، الأصالة، 44، أفريل 1977، ص67.

[3] عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء الجزائريين ودورها، ص131.

[4] محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954، ط2، الجزائر، 2006، ص65.

وعن نشاطه بالشهاب يقول المدني:[1]«صلت وجلت في الشهاب صولات عميقة، وجولات عريقة منذ الشهاب الأسبوعي إلى نهاية الشهاب الشهري، وما كانت أكتب في الشهاب إخباريا، إنما كنت أكتب توجيهيا ... كنت أفكر في الجزائر، أقول لها من طرف خفي: إياك أعني، فأسمعي بإجازة».

والحقيقة أن الشيخ أحمد توفيق المدني، كان ينتهز المناسبات كفرصة ذهبية يستغلها بذكاء، فيخبر الأمة الجزائرية عن مهر الحرية، وثمن الاستقلال، ويغرس في نفوس مواطنيه المبادئ التي اعتنقها من قبل حركة الاستقلال، و بعضهم يكاد يكون صرخة مدوية تدعو الشعب الجزائري للمطالبة بحريتهم، والعمل بجدية في سبيل الحصول عليها.[2]

ومن بين تلك الصياغات، نضيف هذه الفقرة التي علق فيها المدني على فشل محادثات الوفدين المصري والفلسطيني مع المسؤولين الإنجليز في مفاوضاتهمللحصول على الاستقلال، فكتب يقول:[3]«قلب صفحات التاريخ العالمي، أنظر في ذلك السجل الأمين، هل تجدن أمة غلبت على أمرها، ونكبت بالاحتلال ... ثم نالت حريتها منحة من الغاصب، وتنازلا من المستبد، ومنة من المستعبد؟ اللهم كلا، فما عهدنا حرية تعطى، إنما عهدنا الحرية تؤخذ، وما علمنا الاستقلال يمنح، وإنما علمنا الاستقلال ينال بالجهاد...».

ولتجنب اهتمام الإدارة الاستعمارية، كان المدني يكتب مقالاته في جريدة الشهاب، بعضها موجه للشعب الجزائري، مثل مثال: "الجزائر البائسة"، والذي تطرق فيه إلى وضع الشعب الجزائري، عمل على حثه وتشجيعه، ونادى إلى ثورة ضد السياسة الفرنسية،[4] ومنه ما كان موجها للإدارة الاستعمارية مثال مقال بعنوان: "كلمة مرة لأنها صريح الحق والباب

[1]المدني، حياة كفاح، 2/ 397.

[2]محمد عوفن، إسهامات الشيخ أحمد توفيق المدني في الثورة الجزائرية 1954- 1962، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2017- 2018، ص37.

[3] سياسة الإنكليز ، الشهاب، ، جوان 1930، 345/5

[4]المدني، حياة كفاح، 2/ ص 409- 410.

الواقع" وكان هدف المدني من كتابة هذا المقال هو الرد على القول بأن الجزائر فرنسية، واتسم أسلوبه في المقالات التي كتبها بالشدة وانتقاد الاستعمار.[1]

كما كتب مقالا بعنوان: "كلمة صريحة"، وكان هذا المقال خال من الإمضاء، حيث أصدره المدني ردا على المقال الذي نشره "فرحات عباس" بعنوان "فرنسا هي أنا"، وما ورد في المقال أن الأمة الجزائرية الإسلامية، هي ليست فرنسا، ولا يمكن أن تكون فرنسا، ولا تريد أن تصبح فرنسا، بل هي أمة بعيدة عن فرنسا في اللغة، الأخلاق والدين،[2] بالإضافة إلى مقال بعنوان: "الموت والحياة"، وقد تحدث فيه عن الاندماج، وكان لهذا المقال الأثر الواسع في الأوساط السياسية.

وفي سنة 1939م، تم إيقاف جريدة الشهاب، وذلك لعدم تأييدها لفرنسا عند اندلاع الحرب العالمية الثانية، وتعليقا على توقف الشهاب كتب المدني في مذكراته معبرا عن فقدانه للأداة الجيدة التي استخدمها في مجال الوطنية والسياسية، والوسيلة للاتصال المباشر مع الناس ومع الطبقة الواعية فيها.[3]

*** المدني والبصائر:**

تعد البصائر من أهم جرائد الجمعية وخاصة في سلسلتها الثانية التي ظهرت بتاريخ 25 جويلية 1947م، كما أن الباحث في الصحافة العربية بالجزائر، وفي تاريخ تطورها، تخيل له أن كتاب البصائر من الناحية الأدبية، أقوى تعبيرا، وأجمل تصويرا، وأغزر مادة من كتاب

[1] المنصور: "كلمة مرة لأنها صريح الحق ولباب الواقع"، الشهاب، 13 نوفمبر 1937، 9/ 403.

[2] بلقاسم برابح، الكتابة التاريخية عند الشيخ أحمد توفيق المدني، مذكرة ماستر، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2017-2018، ص 29.

[3] المدني، حياة كفاح، 2/ 274.

الشهاب، التي كان يغلب عليها الطابع الديني والفكري على عكس البصائر، فقد كان يميزها الأسلوب الأدبي المشرق البليغ.[1]

وبحسب "عبد المالك مرتاض"،فإن أحمد توفيق المدني يشكل القطب الثاني في البصائر بعد: "البشير الإبراهيمي"، حيث كان يكتب في البصائر أسبوعيا، وكان يشرف على تحرير ركن "منبر السياسة العالمية"، وكان لهذا المنبر العديد من القراء الذين تابعوا باهتمام كبير ما قدمه،[2]من ناحية أخرى يرى "أبو القاسم سعد الله"، أن الخطاب السياسي الذي يجسده "توفيق المدني"، بالبصائر تجاوز في طرحه رواد حركة الإصلاح أمثال . "عبد الحميد بن باديس"، "البشير الإبراهيمي". تناول المدني من خلال كتاباته بالبصائر سلسلته الثانية، قضايا معاصرة بقلم سياسي، وهو في ذلك كان عكس الإبراهيمي الذي اعتمد على الأسلوب الأدبي،[3] أما فيما يتعلق بأركان البصائر، فقط طورها "المدني" خصوصا بعد التحاقه رسميا بالجمعية وتولي الأمانة العامة سنة 1951م، وإذا كان الشائع أن جمعية العلماء بعيدة عن السياسة، فإن البصائر بينت أنها خاضت كل الميادين بما فيها السياسية، ولكن بلغتها وطريقتها، فلم تغب أحداث المغرب العربي أو الإسلامي أو الصراع بين المعسكرين من صفحاتها، كما رصدت تجاوزات الاستعمار وحتى وقائع الثورة الجزائرية في كل مكان من أصقاع الأرض.[4]

والحقيقة أن اهتمامات الجريدة كانت تتجاوب مع القضايا الراهنة للأمة في استنهاض الهمم ومخاطبة العقل،[5] وعن سبب غياب القضايا الجزائرية في ركن "منبر السياسة

---

[1]عبد المالك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925- 1954، النهضة الفكرية- النهضة الصحفية والأدبية- النهضة التاريخية، ط2، الشركة الوطنية، الجزائر 1983، ص 110

[2]المصدر نفسه، 111.

[3]عبد القادر خليفي، أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر 1899- 1983، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة،2006-2007، ص 98.

[4]أبو بكر الصديق حميدي، القضايا العربية من خلال جريدة البصائر (السلسلة الثانية 1947- 1956)، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2003- 2004، ص 16.

[5]المرجع نفسه، ص12.

العالمية"، وجه عبد اللطيف القنيطري لومه إلى "أبو محمد" عن سبب عدم اهتمامه بقضايا الجزائر، مؤكدا أنه ليس الوحيد الذي انتقد ذلك حيث تساءل العديد من قراء جريدة البصائر في حيرة ودهشة كبيرة عن سبب عدم تناول الأستاذ اللامع، رئيس تحرير "منبر السياسة العالمية"، ما حدث في الجزائر، والبعض يقول أن الجزائر في نظر المحور ليست من عالمة الذي يسجل أحداثها، وآخر يقول أنه تعمد إرضاء المجموعات التي يخشى أن تنصب عليه،[1]وقد رد المدني على هذا الأمر معتبرا ذلك بأنه حملة شعراء ومنكرة، هدفها محاولة النيل من شرفه السياسي، والطعن في عرضه الصحفي، وأن الأمر جاء بعد تقسيم الرئيس للعمل، الذي أسند إليه القسم الخارجي، وعلى إثر ذلك قال:[2]«وممن أخاف أيها السادة؟ أخاف وأرهب إدارة استعمارية ظالمة غاشمة، هي إدارة احتلال أجنبي يعتمد على قوة وسواعد الجنود؟ أم أخاف حكومة هي الاستعمار العاتي المجسم؟ ... كلا والله ليس بيني وبين هذه الإدارة ... إلا الحرب والكفاح والنضال».

والواقع أن المدني كان قد أوضح خطه السياسي بالبصائر منذ سنة 1947م، عندما قال أنه إذ أمسك أبو محمد بقلمه وبدأ في كتابة ملاحظاته على الورقة، فلن يضع أمامه سوى الحقائق الواضحة، وكشف أسرارها، واستكشاف أعماقهم، ولا يحكمهم إلا بفكره وضميره، غير الخاضعين لتأثير أجنبي سواء كانت حزبية، أو دولية، أو عاطفية،[3] وأضاف إذ أن رئيس هذا القسم لا يخشى أذى أي مستعمر جائر، وأي هيمنة وحشية، فقام قلمه بمقاومة كل استعمار ومحاربة الجميع، ودعم كل مظلوم وخدمة كل شعب يسعى في سبيل حريته واستقلاله.[4]

[1]عبد اللطيف القنيطري، "إلى أبي محمد"، البصائر، 88، 25 جويلية 1949، ص05.

[2]أبو محمد، "من أبي محمد"، البصائر، 89، 8 أوت 1949، ص 05.

[3]أبو محمد، "كلمة هادئة"، منبر السياسة العالمية، البصائر، 10، 13 أكتوبر 1947، ص04.

[4]المصدر نفسه، ص04.

وبعد رسم المدني خطة التحريرية للصحفية، وإبراز شعارها وأهدافها، أكد على حرية الكتابة، واستقلالية الموقف قال في هذا الصدد:[1] "إما أن نقيد أنفسنا بحزبية ضيقة، وأن ننظر الدنيا بمنظار رسمه واحد لا يتغير، كأن نحب كل من تحب واشنطن، وأن نكره كل من تكره موسكو، فذلك أمر لا سبيل إليه ... لن نكون لأي حزب ولأي حكومة".

***المدني والإصلاح:**

لم يقتصر النشاط الصحفي للمدني على كتابة مقالاته في جريدة الشهاب والبصائر، إنما كتب في العديد من الجرائد ومنها جريدة الإصلاح ومن أهم مقالاته فيها:

"**رحلة وزير الداخلية مسيوديبرو بالقطر الجزائري**": الذي جاء فيه بأن وزير الخارجية يريد أن يرى كل شيء، ويسمع كل صوت لكي يتسنى له عند عودته إنجاز مشروع الدستور الجزائري، بصفة تكون مرضية للجميع، حتى يعرض بعد ذلك على مصادقة المجلس الوطني ويوضع على بساط التنفيذ، أي أن مهمة الرحلة والغاية منها، هي قبول الجميع لفكرة دستور الجزائر.[2]

***يوم 08 ماي:** ذكر الأستاذ المدني الذكرى الثانية لمجازر 08 ماي 1945م، بأنه يوم مذبحة هائلة شنيعة، يوم كارثة لا يعرف التاريخ الاستعماري لها مثيلا، في هولها وفظاعتها، كان يوم سطيف، يوم قالمة، يوم خراطة، كما ذكر أيضا أن يوم 08 ماي 1945م، كان بمثابة المؤامرة الاستعمارية الكبرى تجاه الجزائريين الذين وعدوا بالاستقلال.[3]

كما حرر المدني مقالات أخرى بجريدة الإصلاح من بينها مقال تحت عنوان:

* "**بين الموت والحياة**": إذ يرى أن الأمة الجزائرية نتيجة للأوضاع والظروف القاسية التي تمر بها وكذلك ما يعانيه الشعب خاصة في الجانب الثقافي أنها بالفعل أمة بين الموت

---

[1] المصدر نفسه، 04.

[2] أحمد توفيق المدني، رحلة وزير الداخلية مسيو دبيرو بالقطر الجزائري، الإصلاح، 47، 01 ماي 1947، ص01.

[3] أحمد توفيق المدني، يوم 08 ماي، الإصلاح، 48، 08 ماي 1947، ص01.

والحياة، فلو بقيت تسير نحو هذا المسار ستتعرض للاضمحلال، لأن المستعمر يسعى إلى محو مقومات الدولة الجزائرية، ألا وهي الدين واللغة، فبالنسبة للمدني أن القضية ليست صراع بين لغة عربية إسلامية تريد الحياة للأمة، وشخصية مسيحية أخرى تريد أن تسلب من الأمة الحياة، فيجب على الأمة العربية الإسلامية التحرك لأن الوقت يمضي وليس في صالحها وإلا سوف تسحق سحقا شديدا من قبل الفئة المسيحية اللاتينية، وبذلك تحقق فرنسا خطوة كبيرة نحو الانتصار وتشديد سيطرتها على الجزائر التي تريد اعتبارها قضية داخلية ضمن قضاياها.[1]

بالإضافة إلى ما سبق ذكره، فالمدني له عدة مقالات في العديد من المجالات والجرائد خلال الفترة الممتدة من 1925م- 1954م، فقد حرر بمجلة التلميذ التي صدرت في عام 1931م، وهي مجلة شهرية تصدر بالعربية والفرنسية، وكانت تهتم بقضايا الإصلاح،[2] وجريدة "النجاح" لـ "عبد الحفيظ بن الهاشمي"، ومجلة "إفريقيا الشمالية"، التي أصدرها "إسماعيل العربي" سنة 1948م، وعن الأفلام التي كتبت على أعمدتها فقد وصفها "عبد المالك مرتاض" بالقول:[3]«أما كتاب هذه المجلة، فقد كانوا كتاب البصائر أنفسهم، وهم يمثلون الصفوة الصافية من كتاب الجزائر يومئذ، وناهيك بالمدني، وابن نبي كابتين»، وقد استمر نشاط المدني الصحفي حتى بعد اندلاع الثورة التحريرية 1954م، فكان يتابع أحداثها ويترجم ما يصدر في الصحف الأجنبية عنها.

[1] محمد ناصر، واقع اللغة العربية في الصحافة الإصلاحية في الجزائر، الأصالة، 17، الجزائر، (أكتوبر 1973)، ص268.

[2] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930- 1945، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986، 3/ 106.

[3] عبد المالك مرتاض، نهضة الأدب العربي، ص 115.

2- الجمعيات الأدبية والفنية:

شكلت الاهتمامات التي أظهرها المدني بالعمل الجمعوي والفني أثرت بنشاط النضالي، فالمتتبع لمسيرته يرى ذلك في الفن المسرحي، تأسيس نادي الترقي، الجمعية الخيرية الإسلامية.

*الفن المسرحي:

يعتبر الفن المسرحي من الفنون الأدبية التي عرفت ظهور وتطور مغايرين في الجزائر، حيث ظهوره بالظروف التي كانت تعيشها الجزائر في ظل الاحتلال، لأن هذا الأخير كان السبب المباشر وراء تأخر الحركة الفكرية والثقافية بالقياس إلى مرحلة المقاومة المسلحة التي انطلقت مباشرة بعد الاحتلال، وذلك لأن الإدارة الاستعمارية منعت المنشورات العربية إلى الجزائر.[1]

تعود علاقة المدني بالمسرح إلى المرحلة التي عاشها في تونس، حيث كانت له تجربة مسرحية مهمة، واستمر في هذا المسار أثناء تواجده في الجزائر، حيث لاحظ ركودا في هذا المجال ووصف الموقف بقوله "ربما تكون الجزائر بعد الجزيرة العربية، هي الدولة الإسلامية الوحيدة التي لم تدرك بعد أهمية التمثيل، ولم يضع بها المسرح العربي، ولم يشعر حتى الآن بوجود ذلك النقص الكبير فيه".[2]

ولتدارك هذا الركود الفني استغل المدني تجربته في فن التمثيل المسرحي أفصح عن رغباته في بعض النشاط المسرحي حيث ذكر:[3]«إلا أنني أعتقد أنه لا بد أن ينشأ عما قريب المسرح العربي بالجزائر، لأن هذه الجهود المتشتتة لا بد أن تجتمع، فسعى أن تسفر كل هذه الجهود عن تكوين التمثيل العربي بقطر الجزائر بصفة جدية مفيدة».

---

[1] نجية طهاري، بناء الشخصية في مسرح أحمد رضا حوحو، مذكرة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2010-2011، ص 33.

[2] أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، عالم المعرفة، الجزائر، 2010، ص366.

[3] المصدر نفسه، ص367.

إن المتتبع لأعمال وإنجازات أحمد توفيق المدني يلاحظ أنه أولى اهتماما كبير للمجال المسرحي، فمن أهم انجازاته في هذا المجال هو مسرحية "حنبعل" وعن ظروف تأليف هذه المسرحية وأهدافها،أوضح أنها كانت استفزاز للمشاعر الوطنية، ودفعا لروح المقاومة بعد سلسلة خيبات الأمل المتتالية في مجال السياسة بالشمال الإفريقي، وأيضا نكبة فلسطين، وفي هذا الصدد يقول:[1]«إن رواية تمثيلية وطنية صادقة تعرض على الشعب في قالب فني مدروس، وتلقي عليه أثناء حوارها ما يجب أن يقال من أجل التغلب على الصعاب، واستفزاز روح المقاومة الأصلية فيه».

ولم يكن اختيار عنوان حنبعل من باب الصدفة، حيث يرمز هذا البطلإلى الوحدة والتضحية من أجل الوطن،و اختيار الظروف الزمانية والمكانية دليل على واقعية المؤلف،[2] كانت مسرحية حنبعل من تمثيل رائد المسرح العربي بالقطر الجزائري "محي الدين باش تارزي" بمسرح الأوبرا بالجزائر العاصمة في 9 أفريل 1948م وقد تناولتها إذاعة لندن وعرضت بالجزائر وتونس أكثر من مائتي (200)مرة،[3] ذات هدف سياسي معين، لأن الكاتب أهداها إلى الشباب المغربي حامل راية الكفاح في سبيل الحرية وشرف الوطن.

إذا يقول على لسان حنبعل: «إن من اعتبر رجال الشعب عبيدا صيرهم لا يفكرون إلا في الانتقام، إن عشنا فالوطن لنا جميعا وإن متنا فالوطن لأبنائنا من بعدنا إلى الأبد». وكذلك: «إن العدو عدو دائما»، والمدني مقولة مشهورة تمثلت في: «لقد ولدتنا أمهاتنا أحرارا».[4]

---

[1] المدني، حياة كفاح، 2/ 544.

[2] بلقاسم ميسوم، الكتابة التاريخية الجزائرية خلال الفترة، الاستعمارية 1830- 1962، دراسة تحليلية، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 02، 2010- 2011، ص281.

[3] المدني، حياة كفاح، 2/ 544.

[4] أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ط5، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، ص 63.

والمسرحية عبارة عن دراما سياسية، تتكون من أربعة فصول، تدور أحداثها حول البطل القرطاجي "حنبعل" وقدمت باللغة العربية الفصحى بالرغم من أن التمثيل آنذاك كان بالدارجة في أغلب الأحيان.[1]

والحق أن فصول المسرحية جاءت مملوءة بالوطنية ونداء للمقاومة بمضمونها، ولغتها الخطابية، وقوة أسلوبها، وإن الأفكار المعروضة تدعوا إلى تحطيم قيود العبودية والاستغلال وهي أفكار ثورية تؤثر على الجمهور.[2]

وظف أحمد توفيق المدني ضمن المسرحية مقولات مؤثرة جدا، عقب كل فصل لإنزال الستار، ومن ذلك قوله "حنبعل":[3]«لقد خلق ليعيش وليموت شهيدا ولا توسط بين الحالتين».

***تأسيس نادي الترقي:**

منذ سنة 1925م وبعد نفي المدني إلى الجزائر أصبح مؤثرا في الحياة الجزائرية، فقد شارك في تنشيط العمل الثقافي حيث ساهم في تأسيس نادي الترقي بالعاصمة،[4]وعن ظروف تأسيس هذا النادي وتسميته ذكر أحمد توفيق المدني أنه خلال حفل عشاء أقيم بمنزل محمد بن المرابط، وهو من كبار التجار بمدينة الجزائر في صيف 1926، وحضره 320 رجلا من أعيان وفضلاء الجزائر، تم خلال التداول حول وضعية الجزائر وحاضرها ومستقبلها وفي هذا الإطار يقول المدني:[5]«يا جماعة، الدار لا يبنى من السقف بل من الأساس ... هلا فكرتم في تكوين ناد كبير ضخما ممتاز، يقع في أحسن حي ... يلم شملكم ويجمع شعثكم، ويجعلكم تجتمعون مرغمين كل يوم ....»

---

[1]محمد قشي، تجليات البطل المقاوم في المسرح الجزائري "مسرحية حنبعل" لأحمد توفيق المدني أنموذجا، مقاليد، 13 (2017)، ص 133.

[2]محمد عوفن، إسهامات الشيخ أحمد توفيق المدني، ص 48.

[3]بلقاسم ميسوم، الكتابة التاريخية، ص 282.

[4]أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830- 1954، دار الغرب الإسلامي، 7/ 418.

[5]المدني، حياة كفاح، 2/ 166.

اقترح المدني فكرة إنشاء النادي، وإعطائه التسمية التي عرف بها، فلقيت الفكرة استحسان الحاضرين، الذي تكلف جمع منهم بقيادة "محمود بن ونيش" و "محمد بن المرابط" بالبحث عن المقر بساحة الحكومة (ساحة الشهداء حاليا)، واختيرت له قاعة تتسع لـ 700 شخص،[1] من ناحية أخرى تكفل كل من "يحي بن المرابط" و "قدور بم مراد" بمساعدة أحمد توفيق المدني بتحرير القانون الأساسي للنادي.

وبتاريخ 03 جويلية 1927م، افتتح النادي رسميا، وأسندت الرئاسة إلى "محمد بن ونيش" في حين امتنع المدني أن يكون ضمن المجلس الإداري، لكي يبعد عن النادي شبهة العلاقة بالحزب الدستوري التونسي.[2]

وتعليقا على ميلاد النادي كتبت صحيفة الشهاب مقالا بعنوان: «أعظم ناد وإن كان بعده 100 عام» قالت فيه:[3]«للشعب الجزائري اليوم أن يبتهج بتأسيس ناد ضخم بعاصمة الجزائر، باسم نادي الترقي، وهي خطوة واسعة إلى الإمام ... بل هي طفرة متى نظرنا إلى الركود الطويل، أو الماضي المحاط بالغموض، أو إلى سبات مائة عام».

وأضاف المدني بخصوص المؤسسين أنه من الأليق العدول عن تفصيل الجهود الفردية وعن أسمائهم، فهدفهم إرضاء الضمير وخدمة الشعب، واختتم الوصف بالقول أن لا أحد يرى أن قلبه قد تأثر بمشاعر وطنية سوى ربط أسماء هؤلاء المؤسسين بمن سعوا لإحياء شعوبهم، فخلد التاريخ لهم أجمل الذكرى.[4]

---

[1] المصدر نفسه، 2/ 168.

[2] المصدر نفسه، 2/ 169.

[3] محمد العاصمي، "أعظم ناد بالجزائر وإن كان بعد 100 عام"، الشهاب، 108، 04 أوت 1927، ص08.

[4] المصدر نفسه، ص09.

وبعد تأسيس النادي راسل المدني الإمام عبد الحميد بن باديس طالبا منه افتتاح سلسلة المحاضرات العامة، وهو ما لقي ترحيبا من العلامة الذي ألقى أول المحاضرات به في 25 جويلية 1927 بعنوان "الاجتماع والنوادي عند العرب".[1]

وقد أوردت صحيفة "الشهاب" أجواء هذا الاحتفال مشيرة إلى الترحيب الكبير الذي أحضي به ابن باديس من طرف أعضاء النادي وفي هذا الاحتفال أثنى "المدني" على الإمام ابن باديس مبرزا فضائله، واستعداداته لتبوئ مقام الزعامة الإصلاحية، حيث أضاف صاحب المقال على لسان المدني قائلا:[2]«ختم خطابه الذي صفق له الحضور، وهتفوا له بكلمة استشعر عظمتها، ونقل مسؤوليتها الأستاذ ابن باديس، حتى تصيب لها عرقا، مغزاها أن الشعب قد قلدك رتبة الزعامة الإصلاحية فانهض بها راضيا عاملا متقدما بها نحو الأمام».

وبهذا فإن "المدني" لا يترك مناسبة أو فرصة إلا واعتلى منبر الخطابة ناصحا وداعيا إلى تغيير الأوضاع، ومن ذلك ما نقله "محمد العاصمي" عن المدني خلال أجواء الاحتفال، حيث وصف حديثه بقوله: أطلق نابغتنا المحبوب لذكاءه وروحه الفياضة من خلال صياغة آيات السحر البابلي، فأشعل خطابه نيران الشوق في نفوسهم بعد ركودها واستطاع صديقنا الخطيب أن يظهر لهم الإسلام في حلة بديعة، وزي جديد التحليل الفني، حتى جعل أعينهم في حالتي مد وجزر، ونال ثقة المحتفلين وإعجابهم به، بإعجاب كبير،[3] ومن خطب المدني في النادي تلك التي ألقاها بمناسبة عودة الحجاج من البقاع المقدسة، وإقامة احتفال لهم بالنادي في 25 جويلية 1928، حيث لعب دور الخطيب الإسلامي والوطني في آن واحد، أم كونه إسلاميا فقد عدد فضائل الحج، وذكر منافعه العائدة على المسلمين عامة كأحد الخصيصين في هذا الموضوع أما الدور الوطني فقد أخذ يذكر الناس بواجباتهم نحو وطنهم

[1] المدني، حياة كفاح، 2/ 170.

[2] محمد العاصمي، أعظم ناد بالجزائر، ص11.

[3] محمد العاصمي، "مشهدان عظيمان بالعاصمة"، الشهاب، 122، 17 نوفمبر 1927، ص 2،6 .

وأخذ يجتث تلك الفروق التي بقيت من بقايا الجاهلية الأولى فأنسى الناس بكلامه وصفقوا له المرات العديدة.[1]

والواقع أن نشاط النادي لقي استحسان الجميع، حيث أشاد به العديد من الكتاب وبأهميته ومن ذلك أبيات "لأبي اليقظان".

التي توه بالأهمية الاجتماعية والتربوية والسياسية للنادي:

حي في نادي الترقي أنفسنا ذات مزية

في حمى النادي تهافت أنفس الشعب الزكية

في حمى النادي تلاشت همزات العنصرية

في حمى النادي تعالت صرخة الشعب الدورية[2]

ويرى "تركي رابح" أن النادي يعتبر من الهيئات التي ساهمت في دعم حركة التعليم العربي الحر منذ وقت مبكر، وكان مركزا لنشاط جمعية العلماء بعد تكوينها سنة 1931م، بل كان المكان التي تبلورت فيه فكرة تكوين الجمعية، وإخراجها من حيز الأماني إلى حيز الوجود والواقع.

فالنادي احتضن معظم الهيئات الجزائرية ذات الاتجاه العربي الإسلامي حتى نهاية الاحتلال عام 1962م، وشكل منبرا للمحاضرات العلمية باللغة العربية ومركز للدروس الدينية والاجتماعية التي تعالج أمراض ومشاكل المجتمع الجزائري على ضوء تعاليم الإسلام وأحكام الشريعة،[3] ويرى أيضا أن هذه ليست مبالغة عندما نقول بأنه لا توجد فكرة وطنية جيدة ظهرت في الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى تتعلق بالشخصية العربية الإسلامية

[1] في نادي الترقي، احتفال عظيم ومأدبة إكرام للحجيج، الشهاب، 160، ص 3- 4.

[2] أبو اليقظان، في حمى النادي، الشهاب، 12 أوت 1934، 1/ 419.

[3] رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الوطنية، الشركة الوطنية، الجزائر 1975، ص237.

للشعب الجزائري، إلا وكان لنادي الترقي نصيب فيها سواء كان هذا، كانت المشاركة أقل أو أكثر.[1]

ولخص المدني أهمية النادي ودوره فيه بالقول:[2]«أن الخدمة التي قدمتها لبلدي ربما كانت الخدمة الأكثر فائدة التي يقدمها مقاتل لأمته ووطنه، لست متفاجئا إطلاقا بهؤلاء المؤرخين الجدد الذين يضربون سهما في تأسيس التاريخ الحديث للجزائر، ويهملون أو يتجاهلون ذكر نادي الترقية وآثاره».

***الجمعية الخيرية الإسلامية:**

تأسست الجمعية الخيرية الإسلامية بالجزائر العاصمة في أواخر سنة 1933م، جاءت كثمرة جهود بعض المصلحين والأعيان العاملين بنادي الترقي يتقدمهم "الطيب العقبي" و "محمود بن ونيش" و "عباس تركي" و "محمد الشريف الزهار" و "وإبن شلحة محمد" و "محمد بن البادي" و "أحمد توفيق المدني" وغيرهم، وهي جمعية بر وإحسان،[3] وقد جاء في القانون الأساسي للجمعية الخيرية الذي تضمن 5 فصول، أنها تعمل على إسعاف المعوزين من الأفراد والعائلات ماديا ومعنويا، وإعانة عابري السبيل ومساعدتهم على الرجوع إلى أوطانهم.[4]

وبعد انتخاب الهيئة الإدارية للجمعية الخيرية أسندت رئاستها إلى العقبي بالإجماع، وكانت الجمعية الخيرية تعتقد دور عادية في السنة، وكانت تهدف دوراتها إلى تقييم نشاطاتها السنوية وجمع التبرعات، مع دراسة إمكانية توسيع فروع الخيرية.[5]

---

[1] المرجع نفسه، ص238.

[2] المدني، حياة كفاح، 2/ 165.

[3] محمد عوفن، إسهامات الشيخ أحمد توفيق المدني، ص 53.

[4] عبد القادر خليفي، أحمد توفيق المدني ودوره، ص126.

[5] المرجع نفسه ، ص 126.

اعتادت الجمعية على إقامة حفلة شاملة في المناسبات الدينية في القاعة الفسيحة، وفي الثاني من أفريل عام 1934 أقامت حفلة ضخمة الأكثر من خمسة آلاف شخص، وعلقت عليه مجلة الشهاب في «اليوم الأغر في عاصمة الجزائر» وكتبت:[1] "لقاء اليوم الثاني من أفريل لم يكن انتصارا واضحا للجمعية الخيرية الإسلامية، ولم يكن انتصارا واضحا لفكرة الصدفة، بل كان انتصارا عظيما للصحوة الإسلامية العظيمة".

وكان اجتماع الجمعية الخيرية بمثابة مهرجان اجتماعي، وأدبي، تلقى فيه الخطب والإشعار، وقد حضره أعضاء جمعية العلماء ورئيسها "عبد الحميد بن باديس"، وبعد افتتاحية العقبي صعد المسرح "أحمد توفيق المدني" وألقى كلمة وصفتها الشهاب بالمؤثرة والتي قوطعت بالتصفيق مرارا بين فيها واجبات الأمة نحو البائسين، مستنهضنا للهم، داعيا للأغنياء إلى التجنيد لمساعدة الأطفال والعاطلين عن العمل والفقراء،ومما جاء في كلمته الموجهة للحاضرين قوله:[2]«إذا جلستم على موائد الطعام مهما كانت تافهة فتذكروا أولئك الذين حطمهم الجوع وربما ماتوا ولم يجدوا إلى القوت سبيلا».

وفي أوائل عام 1940م وباقتراح من أعضاء الجمعية الخيرية تم انتخاب الهيئة الإدارية الجديدة، وقلص عدد أفرادها، وانتخب "العقبي" بالاجتماع رئيسا لها، و "أحمد توفيق المدني" نائبا أولا، ومحمد "الشريف الزهار" كاتبا عاما والحاج يوسف إمراجي مراقبا عاما.[3]

لقد تعدى نشاط الجمعية من إيواء ابن السبيل وتربية الجيل الصاعد أخلاقيا ومهنيا إلى العلاج المجاني، ففتحت عيادة لمعاينة الفقراء من سكان الجزائر، الذين لا يجدون في متناول أيديهم ما يكفي لدفع أجرة الأطباء الباهضة وثمن الأدوية المرتفعة، وكونت مجلسا إداريا

[1] الشهاب، اليوم الأغر في عاصمة الجزائر، م13، 16 أفريل 1934، 1/ 222.

[2] الشهاب، اليوم الأغر في عاصمة الجزائر، 1/ 224.

[3] محمد عوفن، إسهامات الشيخ أحمد توفيق المدني، ص 55.

للهيئة الطبية يتشكل من خمس أعضاء، وهم دكاترة متخصصون في مختلف الأمراض الكولونيل "علي قاضى" و"آيت سي أحمد" و "محمد عوشيش".[1]

والواقع أن هذه الجمعية كانت متفتحة على محيطها الخارجي، ولها علاقة بجمعية العلماء وغيرها من الجمعيات، والظاهر أن الخيرية استهدفت من وراء ذلك النشاط التقرب من المواطن، وكسب الدعم المادي والمعنوي، وقد تزايد صداها مع مرور الزمن.[2]

***جمعية الفلاح:**

عمل نادي الترقي في بداية عهده على إنشاء العديد من الجمعيات التي كان لها دور بارز في دعم التعليم العربي الإسلامي، ومن بين هذه الجمعيات "جمعية الفلاح" التي تأسست سنة 1932، أسسها نخبة من أعيان العاصمة ومن زعماء نادي الترقي

ومن أبرز الشخصيات المؤسسة لها "الحاج ماماد المانصالي"، "محفوظ التركي"، "محمود ابن ونيش" "زواوي الحاج"، "عمر موهوب"، "محمد ازميرلي".[3] حيث تحمس أعضاء النادي لهذا التأسيس وجمعوا له أموالا طائلة، واشتروا مقرا بالقرب من ضريح الشيخ "عبد الرحمان الثعالبي".[*4].

كان الهدف من وراء تأسيس هذه الجمعية وضعها تحت تصرف المدارس العربية الإسلامية، خاصة مدرسة الشبيبة الإسلامية بغية توسيع أقسامها ومرافقها، بعدها أصبحت جمعية الشبيبة الإسلامية هي التي تشرف على جمعية الفلاح، وفي هذا الصدد يقول توفيق

---

[1] الإصلاح، العيادة الطبية المجانية لفقراء الجزائر، 55، ص 03.

[2] عبد القادر خليفي، أحمد توفيق المدني ودوره، ص128.

[3] الحواس الوناس، نادي الترقي، ص272.

[*] عبد الرحمان الثعالبي هو من كبار المفسرين وأعيان الجزائر تعلم في بجاية وتونس ومصر، تولى القضاء، أسس الزاوية ومسجد عند عودته للجزائر، اشتغل بالتدريس والتأليف إلى أن وافته المنية 1470هـ، ودفنه بزاويته، خلف العديد من المؤلفات أهمها: الجواهر، الحسان في تفسير القرآن والعلوم الفاخرة في أحوال الآخرة، وروضة الأنوار الأخبار. ينظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت 1980، ص 90.

[4] المدني، حياة كفاح، 2/ 279.

المدني:[1]«كانت جمعية الفلاح وقد جمعت حولها من الفضلاء والكرام من كل الطبقات، كان هدفها ابتياع ديار ضخمة في ضواحي العاصمة، ووضعها تحت تصرف المدارس العربية الإسلامية ... ووضعناها سنة 1932م، تحت تصرف الشبيبة الإسلامية الجزائرية»، حيث رحب رجال الإصلاح بهذا الانجاز وعلى رأسهم رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أمثال: الشيخ "عبد الحميد بن باديس"، والشيخ "الطيب العقبي" و "المبارك الميلي".

وفي يوم افتتاحها حضر حشد كبير من سكان العاصمة، وكان "أحمد توفيق المدني" أول من ألقى خطابا فيه، حيث قال في هذا الإطار:[2]

أحيي رجال النهي والكرم رجال الشعور، رجال الهمم.

أحيي الألى صدقوا وعدهم وكانوا جميعا كنار علم.

ثم أنشد يقول:

رجال الفلاح وأنصار نادي الترقي وأبطال هذا الحرم.

رفعتم منار البلاد عليا وراسلتم الروح بين الرمم

تعتب هذه الجمعية حلقة من حلقات الكفاح السياسي والنهضة التي عرفتها الجزائر خلال الثلاثينات من القرن الماضي، فقد كان لهذه الجمعية مساهمة كبيرة في التربية والتكوين، وترقية الحس المدني وانتشال الشباب والنشء من الآفات الاجتماعية من مخذرات وكحول وسرقة وقمار وغيرها.

*** جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:**

شهدت الجزائر بروز الحركة الإصلاحية، نتيجة تحرك المجتمع بعد الحرب العالمية الأولى، وانتشر صيتها بالتوازي مع حركة الشبان بزعامة "الأمير خالد"، وقد كان التقاء

[1] المصدر نفسه، 2/ 279.

[2] الحواس الوناس، نادي الترقي، ص273.

العلماء الذين تكونوا في مدارس مختلفة مغاربية وشرقية فتحا، أعطى ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مطلع الثلاثينات،[1]التي كان ظهورها كتنظيم إصلاحي جامع ووطني، إذ أن فكرة إنشاء تجمع للعلماء تحت اسم من الأسماء، قد أثيرت عشية الحرب العالمية الأولى وكررها ابن باديس والإبراهيمي سنة 1924م،[2] حين التقيا فأبلغ ابن باديس الإبراهيمي، بأنه يريد أن يؤسس جمعية الإخاء العلمي تتكون من علماء قسنطينة، وشرح أغراضها وطلب من الإبراهيمي أن يضع قانونا أساسيا لها، فاستجاب لذلك، ووضع القانون الذي أقره ابن باديس واتفق عليه، لكن التجربة فشلت لأن أغلب العلماء كانوا مرتبطين بالوظيف، قليلي الإقبال على العمل الجماعي، فاقتنع ابن باديس بوجوب التمهيد لمثل هذه المؤسسة بواسطة صحافة حرة،[3] ودعت إليها جريدة الشهاب في شهر نوفمبر 1925، من خلال توجيه نداء لكافة علماء القطر الجزائري للتفكير في كيفية تأسيس حزب ديني يدافع عن الإسلام وإحياء الثقافة العربية.[4]

وطرح "محمد السعيد الزاهري"، مشروع تكوين حزب إصلاحي ديني سنة 1928م، فحط له قانونه الأساسي، لكن لم يتحقق الإجماع على الفكرة.[5]

والحقيقة أن التفكير في إرساء أسس هذه الهيئة، شغل العلماء الاصلاحيين في العشرينيات من القرن الماضي،عندما تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إثر احتفال فرنسا بالذكرى المئوية في الجزائر وما رافقها من مظاهر وتصريحات، وفي هذا الصدد

---

[1]Mouhamed Teguia, L'algérie en guerre office des publication universitaires,alger 1988, p 34- 36.

[2]عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها، ص88.

[3]أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، دار البعث، الجزائر 1984، 2/ ص 237- 238.

[4]عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء ودورها، ص74.

[5]أحمد بلعجال، الخطاب الإصلاحي عند الشيخ محمد السعيد الزهري، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006، ص 154.

يقول: "محمد الطيب العلوي"[1]: «فإنشاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كان في الوقت المناسب، وكان ضرورة قصوى تقتضيها الظروف والتحديات».

وحسب الشيخ "محمد خير الدين"، فإن ابن باديس هو الذي دعا الشيخ "محمد عبابسة" لزيارته بقسنطينة، وطلب منه اختيار جماعة من الذين لا يثير ذكر أسمائهم شكوك الحكومة، أو مخاوف أصحاب الزوايا، على أن تتولى هذه الجماعة توجيه الدعوة إلى العلماء لتأسيس الجمعية بنادي الترقي بالعاصمة، فلبى الطلب واختار إلى جانبه: "عمر بن إسماعيل الدلسي" و "الشيخ محمد العاصمي"، "والسيد أحمد توفيق المدني"، فتشكلت اللجنة التحضيرية.

وبخصوص عدم مشاركة ابن باديس اليوم الأول، فذكر بأن الرجل أبلغه سرا رفقة مبارك الميلي، بهذا الغياب حتى توجه له الدعوة رسميا، فيكون بذلك مدعوا لا داعيا.[2]

ومن جهة أخرى تحدث أحمد توفيق المدني عن تفاصيل التأسيس بصفته أحد المساهمين والمدافعين عن تشكيل الجمعية، حيث أشار إلى ترددمجموعة من أصحاب التيار الإصلاحي العربي الإسلامي نادي الترقي، لمناقشة الأوضاع التي وصلت إليها البلاد، وخاصة بعد الاحتفالات المئوية وقد حددهم في ثلاثة وهم: محمد العاصمي، عمر إسماعيل، محمد عبابسة، بالإضافة إلى شخصه، حيث تناقشوا بصراحة خلال شهر جويلية 1930م.[3]

فرأوا وجوب تأسيس هيئة للعلماء وتوحد جهودهم، وعن ذلك يقول المدني:[4]«وجاء دور التفكير في إنشاء مثل هذه الحركة، وإخراجها من طور الفكر إلى طور التنفيذ ... وأخيرا هدانا التفكير إلى وجوب جمع علماء المسلمين في الأرض الجزائرية ... وتأسيس جمعية

[1]محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830 حتى ثورة نوفمبر 1954، دار البعث، قسنطينة 1985، ص 110.

[2]محمد خير الدين، مذكرات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1/ 105.

[3]عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء ودورها، ص88.

[4]المدني، حياة كفاح، 2/ 256.

إسلامية عالية ... قال العاصمي: وكان له فضل السبق في هذا المقال، لندعها إذن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فتفاءلنا خيرا بالاسم».

وعن الخطوات العملية لتجسيد الفكرة، ذكر المدني أن عمر إسماعيل، وهو أحد الأغنياء بادر إلى عرض جائزة مالية قدرها 1000 فرنك، لمن يتوصل إلى إنجاز هذا المشروع، ومن جهة أخرى كتب محمد العاصمي بإيعاز من "أحمد توفيق المدني" مبشرا بالموضوع.[1]

وفي هذا السياق كتب أحد المعاصرين أن عمر إسماعيل التقى بابن باديس وطلب منه دعوته في مجلة الشهاب لتأسيس جمعية العلماء، بشرط أن يلتزم بعد ذلك بدفع 1000 فرنك، لمن توقف من العلماء في تأسيس جمعية تحت اسم "جمعية العلماء"، و نشر الشهاب نص الدعوة في 05 فيفري 1931،[2] وقد لقيت المبادرة استحسانا ، فتهاطلت عدة رسائل من علماء وطلابمتميزين، من مختلف أنحاء القطر على مجلة الشهاب مشجعة الفكرة.

وكان المدني من الداعين إلى أن تكون الهيئة الجديدة جامعة لكل المذاهب الموجودة بالجزائر، حتى تمثل وحدة وطنية صميمة.[3]

وهكذا تشكلت لجنة تحضيرية بنادي الترقي، تولت أمر الإعداد للاجتماع التأسيسي ويذكر "حمزة بوكوشة"، أحد المعاصرين والمساهمين في ميلاد الجمعية بخصوص هذه النقطة أنه تم تشكيل لجنة تحضيرية لنادي الترقي، مكونة من أربعة جزائريين متميزين، برئاسة السيد عمر إسماعيل، والسيد عبابسة الأخضري رحمه الله الذي كان من السفارات بين الجزائر وقسنطينة وبسكرة لهذا الأمر، ثم أعلنت اللجنة عن يوم ومكان اجتماع التأسيس، فوجهت الدعوة إلى 120 من علماء القطر وطلبته الذين وصلت عناوينهم.[4]

---

[1] المدني، حياة كفاح، 2/ 257.

[2] عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر الفترة الأولى 1920- 1926، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، 1/ 174.

[3] المدني، حياة كفاح، 2/ 257.

[4] أحمد توفيق المدني، رد أديب على حملة الأكاذيب، ص11.

وكتبت رسائل الدعوة من قبل السيد أحمد توفيق المدني، ووقعها السيد عمر إسماعيل، واستجاب للدعوة 80 منهم، ولم يكن ذلك صباح الثلاثاء الموافق 05 ماي 1931م، حتى التقى 72 عالما من علماء القطر وطلبة العلم بنادي الترقي بعاصمة الجزائر، لتحقيق فكرة تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

وقد جرى الاجتماع في شكل جمعية عمومية لبحث القانون الأساسي للجمعية، وتم تعيين "أبي يعلى الزواوي" للرئاسة المؤقتة، وللكتابة العامة الأستاذ الأمين العمودي، فتلى على الحاضرين القانون الأساسي الذي حرره أحمد توفيق المدني وبعث به مع رسائل الدعوة، فأقرته الجمعية بالإجماع، وترجمه إلى اللغة الفرنسية "الأمين العمودي"، الذي عين أمينا عاما.[1]

وفي اليوم نفسه انتخاب الهيئة الإدارية عن طريق اللجوء إلى الاقتراح، فعرضت أسماء ثلاثة عشر عضوا، جرى اعتمادهم من قبل الحاضرين، وهي طريقة ذكية مكنت من فوز العلماء المصلحين المجددين، وانتخاب "عبد الحميد بن باديس" رئيسا غيابيا، حيث لم يحضر الاجتماع في اليوم الأول وحضر فيما بعد.[2]

والحقيقة أن أحمد توفيق المدني كانت له مساهمة فعالة في تأسيس الجمعية كما سبق ذكره.

وما نخلص إليه أن دور المدني كان رائدا، وظهرت مساهمته في كونه أحد أعضاء اللجنة التحضيرية (اللجنة الرباعية)، التي تدعى اللجنة التأسيسية وأنه هو الذي أرسل الدعوات لحضور اجتماع التأسيس العام، والمحرر لقانونها الأساسي الأول، الذي أرسله مع رسائل الدعوة، وأقره المجلس بالإجماع، وترجمه "الأمين العمودي" للفرنسية.

---

[1] المدني، رد أديب، 12.

[2] عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931- 1945، دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996، ص 134- 135.

الفصل الثاني:

القضايا الإصلاحية في فكر أحمد توفيق المدني

1925-1954

تمهيد:

تمثل الفترة الممتدة من 1925- 1954 مرحلة مهمة وحساسة في تاريخ الجزائر بشكل عام ،وتاريخ الحركة الوطنية بشكل خاص، حيث شهدت نشاطا مكثفا لمختلف التيارات، و بالتالي كانت هناك مواقف متعددة تجاه الاحتلال، بين المطالبة بالاندماج في الوسط الفرنسي أو الانفصال النهائي عن المستعمر.

وفي ظل هذه الاختلافات عرف أحمد توفيق المدني نشاطا وحيوية ومشاركة سياسية في مختلف الأحداث الوطنية التي مرت بها الجزائر، و كان له مواقف وبصمات في أهم الحركات السياسية التي عرفتها الجزائر في هذه الفترة.

أولا: القضايا السياسية

لقد عرف أحمد توفيق المدني بنشاطه ومشاركته السياسية خلال الأحداث الوطنية التي عاشتها الجزائر فكان موقف وبصمة في أهم التحركات السياسية التي عاشتها الجزائر في هذه المرحلة.

I- إسهامات أحمد توفيق المدني في مختلف التنظيمات السياسية في الحركة الوطنية الجزائرية

1- مشاركة أحمد توفيق المدني في بيان الشعب الجزائري 1943، ودعمه لحركة الاستقلال الجزائرية:

شهدت الجزائر إنزال للحلفاء بتاريخ 8 نوفمبر 1948، وبهذا دخلت الجزائر مرحلة جديدة في الحياة السياسية الوطنية، وتميزت بنشاط مكثف للحركة الوطنية بمختلف تياراتها.[1]

في خضم الأحداث الأحداث طلبت فرنسا من الجزائر تزويدها بجنود لدعمها في الحرب العالمية الثانية، نتيجةلذلك جرت اتصالات بين الجزائريين والفرنسيين والحلفاء، وذكر المدني ذلك خلال مقابلاته مع "الجنرال جيرو" حيث قدم مطالب التونسيين والجزائريين، وعبر عن معاناة الشعبين إلا أن هذه المقابلة لم تأتي بنتيجة.[2]

وبهذا سارع "فرحات عباس" لتجهيز مطالب تقدم للأمريكيين واعتمد عليها كأساس للإصلاح، حيث قدم رسالة إلى السلطات الفرنسية والحلفاء يوم 20 ديسمبر 1942، وأتبعها برسالة ثانية تحمل بعض التغيرات يوم 22 ديسمبر 1942 موجهة إلى السلطات الفرنسية تحت عنوان رسالة من ممثلي المسلمين إلى السلطات الفرنسية، وتعتبر هذه الرسالة كمسودة لبيان الشعب الجزائري فيما بعد إلا أن هذه المطالب رفضت جعل قادة الحركة الوطنية يسرون (يلجؤون) إلى تغيير موافقتهم وتجديد مطالبهم.[3]

والحقيقة أن توفيق المدني قام باستغلال الفرص التي أتيحت له للتعبير عن رغباته في التخلص من الاستعمار ودليل ذلك ما ذكره عن الإعداد للبيان، حيث أورد في شهر جانفي من سنة 1943 اتفق الأخوان "عباس فرحات والحكيم بن جلول" على الدعوة لعقد اجتماع

---

[1] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930- 1945، 3/ص190- 193.

[2] أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، 2/ ص 511- 512.

[3] عبد القادر خليفي، أحمد توفيق المدني ودوره ،ص 29.

سياسي تأسيسي يضم النخبة الصالحة من رجال الشعب الجزائري، لكي يضع أسس مطالبه ويقول كلمته الصريحة: (وكنت مدعوا لحضور ذلك الاجتماع، وقد أشعر مسيو مورفي Murphy ممثل أمريكا بالأمر، لما عسى أن تفعله فرنسا).[1]

فدعا فرحات عباس إلى عقد اجتماع في مكتب المحامي "أحمد بومنجل" بالعاصمة حضره الدكتور "تامزال" و "غرمي أحمد" و "قاضي عبد القادر" والدكتور "الأمين دباغين"، و "حسين عسلة"، و "الشيخ العربي التبسي"، و "محمد خير الدين"، أحمد توفيق المدني، الدكتور بن جلول والدكتور سعدان مستشار عام، ومحمد الهادي جمام، وحسب المدني فإن الاجتماع حضرته حوالي 50 شخصية من ألمع رجال المجتمع السياسي الجزائري، ترأسه الدكتور بن جلول.[2]

وقد طرح "المدني" مجموعة مطالب رأى أنها من الرغائب التي تستجيب لما يفكر فيه الشعب لخصها في عشر نقاط أهمها:

"-إنشاء مجلس تأسيسي لتحرير دستور لدولة الجزائر.

- تكوين حكومة جزائرية مستقلة، تتشارك مع فرنسا ومع المتحالفين في الجهود الحربي.

- إلغاء تبعية الجزائر لفرنسا، على أن تكون العلاقات بينهما محددة.

- إلغاء نظام الاستعمار، وتحديد ملكية الأرض.

- الكف عن سياسة وحدة العلم البحري.

- إنشاء النقد الجزائري الخاص بالدولة الجزائرية على قاعدة الدينار يساوي 1000 فرنك- الدرهم يساوي 100 فرنك.

- دخول الجزائريين المستحقين حالا ميدان الوظائف العامة.

---

[1] حياة كفاح، 2/ 315.

[2] فرحات عباس، حرب الجزائر وثورتها- ليل الاستعمار، ترجمة أبو بكر رحال، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، ص140.

- إعلان وجود الجنسية الجزائرية على أن تشمل كل المسلمين.

- إنشاء مجلس استشاري يضم نخبة الجزائريين حالا.

- تدعى الدولة الجزائرية حالا دولة مشاركة مع المتحالفين[1] وهكذا جرى تكليف "فرحات عباس" بتحرير نص البيان، الذي وقع بتاريخ 10 فيفري 1943، وكان معنونا بالجزائر أمام الصراع الدولي، بيان الشعب الجزائري ينص على:

1- الحرية والمساواة المطلقين لجميع سكانها دون تمييز بالعنصر أو بالدين.

2- إنهاء الملكية الإقطاعية بتطبيق إصلاح زراعي كبير، وتأمين حق العيش للطبقة الكبيرة من العمال والفلاحين.

3- الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية.

4- حرية الصحافة وحق الاجتماع.[2]

- التعليم العمومي إجباري على جميع السكان.

- فصل الدين الإسلامي عن كل تدخل حكومي.

- مشاركة الجزائريين في الحكومة وتكون هذه الحكومة وليدة رغائب الشعب لا تراعي إلا مصالح الشعب."[3]

لقد جمع هذا البيان بين أفكار حزب إتحاد الشعب الجزائري وجمعية العلماء المسلمين وفئات عريضة من الجزائريين فمواجهة الاستعمار الفرنسي مهمة تتطلب اتحاد الجميع.[4]

وقد وصفه* "أجمد بومنجل" بأنه نضال سياسي سيؤدي حتما إلى إحداث قطيعة مع الاندماج ويقوى الروح الوطنية لدى الجزائريين".[1]

---

[1] أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، 2/ 514.

[2] سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، 3 /270.

[3] أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، 516/2.

[4] عبد القادر خليفي، أحمد توفيق المدني ودوره، ص 936.

* أحمد بومنجل: ولد في 21 أفريل 1906 (تيزي وزو)، عضو في المجلس الوطني للثورة الجزائرية 1959، وأحمد المفاوضين في لوغران وإيفيان (1961- 1962)، انسحب من الحياة السياسية إلى غاية موته عام 1948، ينظر: عاشور شرفي، قاموس الثورة الجزائرية (1954- 1962)، ترجمة: عالم مختار، دار القصبة ،الجزائر، ص 100.

وقد توجه وفد إلى الوالي العام "مارسيل بيروتون Marcel pyreoton" بتاريخ 31 مارس 1943، لتسليم نص البيان قد وعدوا الوفد بأخذ المطالب بعين الاعتبار وبتاريخ 3 أفريل من نفس السنة ثم تعيين لجنة سميت لجنة لمعالجة القضايا الاجتماعية والاقتصادية للمسلمين ووصف المدني هذه اللجنة بأنها ألعوبة، دعتها لجنة الإصلاحات الإسلامية، فهي لم تدرس أي مشروع إصلاح حال الجزائريين بالصفة التي يطلبونها، ومع ذلك تقدم "فرحات عباس" أمام اللجنة وعرض مطالب محددة بصفة ملحق للبيان، خلال شهر ماي 1943م وعليه أن المدني شارك بفعالية في البيان التاريخي وتمكن من تجسيد خطة السياسي الذي يهدف إلى توحيد الجهود الوطنية لمواجهة الاستعمار.[2]

2- مشاركة أحمد توفيق المدني الفعالة في الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية والاستقلال، والذي ساهم في إنهاء الاستعمار الفرنسي 1951:

شهدت الجزائر مع مطلع الخمسينات حركة سياسية نشطة خاصة بعد مجازر 8 ماي 1945م، حيث تأثر الاتجاه الثوري بالضربات التي تعرضت له المنظمة الخاصة وذلك بتفكيكها في شهر مارس 1950م كما شهدت مهزلة انتخابية في شهر جوان 1951، ولذلك كان لا بد من إعادة توحيد الجهود من أجل إيصال مطالبها والوقوف في وجه المستعمر، وبالفعل توحدت الجهود، وظهرت باسم جبهة الدفاع عن الحرية واحترامها، وكان قد مهد لظهورها عدة لجان وهي لجنة إغاثة ضحايا القمع التي تأسست سنة 1948م ولجنة الدفاع عن حرية التعبير التي أنشئت سنة 1950م.[3]

---

[1] حميد عبد القادر، فرحات عباس رجل الجمهورية، دار المعرفة، الجزائر، 2001، ص 93.

[2] سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، 208/3.

[3] عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830- 1962)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1997، 372.

وقد تأسست هذه الجبهة يوم 25 جويلية 1951م، بعد اجتماع اللجنة بهدف تحقيق الاتحاد وذلك عن طريق توجه نداءات إلى جميع الجزائريين للالتحاق بها.[1]

وقد جاء في جريدة المنار: «إنها البشرى تشرح الصدور وتنعش الآمال وتقوي التفاؤل بمستقبل هذا الوطن هذه البشرى هي تكوين لجنة إنشائية لتأسيس جبهة جزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها فإن الذي نريده، هو توحيد السياسة والعمل في جبهة قومية، تتمثل فيها مطامح الشعب إلى الحرية والاستقلال، وهي خطوة عظيمة نرجو أن يتبعها توحيد البرامج السياسية في برنامج عام واحد يعبر عن أماني الأمة الجزائرية القومية».[2]

في 5 أوت 1951 تم انعقاد اجتماع من طرف اللجنة الإنشائية لتأسيس الجبهة في السينما "دنيا زاد" بالجزائر العاصمة وحضر الاجتماع أعداد غفيرة من المواطنين تم فيه الإعلان عن ميلاد تلك الجبهة بالإضافة إلى تقديم عدة مطالب أهمها:

*إلغاء الانتخابات التشريعية التي جرت في 17 جوان 1951.

* احترام حرية الانتخابات في القسم الثاني.

* احترام الحريات الأساسية، حرية الفكر، الصحافة، والاجتماع.

* محاربة القمع بجميع أنواعه، وتحرير المعتقلين السياسيين، وإبطال التدابير الإنشائية الواقعة على مصالي الحاج.

* إنهاء تدخل الإدارة في شؤون الديانة الإسلامية.[3]

وقد وصف "المدني" الجبهة قائلا: «إن حركتنا هذه ليست حركة عنف وليست قوة، بل هي حركة عقل وحكمة، حركة حجة وإقناع، هي حركة مجموع الأمة الناهضة التي تريد بواسطة الحجج القوية الدامغة وبواسطة المنطق السليم الراجح، أن ترغم الخصوم على

[1] بن العقون، الكفاح القومي والسياسي ،1/ 165.

[2] محمد بوزوزو/ بارقة أمل خطوة كبيرة في سبيل تحقيق الاتحاد القومي، المنار، 6، 30 جويلية 1951، ص 01.

[3] الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها مولود جديد يحتاج إلى عناية، المنار، 07، ، 15 أوت 1951، ص 01.

التخلي عن مطالبهم وامتيازاتهم الخارجة، وتدليسهم السخيف، وأن تنتزع من أيديهم انتزاعا حقوقها وحرياتها وحياتها الشريفة السامية».[1]

كما كتب أيضا "المدني" في جريدة البصائر وعبر فيها عن مدى سروره لتشكيل هذه الجبهة قائلا: الحمد لله، واله أكبر لقد تحقق الرجاء، وكللت جهود العاملين في سبيل جمع كلمة الأمة، وتحقيق وحدتها بفوز عظيم فهذه الجبهة إنما هي طليعة الاتحاد الجزائري المقدس فوجود طائفة من العلماء الصالحين المستقلين من جهة، ووجود الرغبة الصادقة عند سائر الأحزاب لمباشرة العمل المشترك، في سبيل الجزائر الجديدة.[2]

اهتمت الجبهة بمشاكل القطر حيث كانت ترسل وفدا إلى مختلف مناطق الوطن مثلما حصل بالأوراس[3] وشملت أيضا البلدان المغاربية وهذا ما دفع بالمدني المشاركة فيها من خلال إرسال برقيات وتضامن مع الشعب التونسي إثر اعتقال السلطات الفرنسية سنة 1952 زعماء السياسيين وعلى رأسهم "لحبيب بورقيبة"* و "سليم المنجي" وما يؤكد هذا التضامن ترأس "أحمد توفيق المدني" اجتماع بالعاصمة في 28 جانفي 1952 وقدم المدني صورة صادقة لما ارتكبته السلطة بمناسبة عرض القضية التونسية على مجلس الأمن، كما دعا توفيق المدني إلى وحدة النضال في شمال إفريقيا، وبشر باقتراب الساعة التي يتمتع فيها المغرب الكبير بحقه الكامل في الحرية والاستقلال.

[1] "الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها تقف أمام الأمة" ،المنار، 08، 31 أوت 1951، ص 03.

[2] أبو محمد: "الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها"، أعظم موقف تتخذه الجزائر المجاهدة في تاريخها الحديث، البصائر، 1،167 3 أوت 1951، ص 01.

[3] تصريح مشترك،المنار، 09، 5 أكتوبر 1951، ص 01.

* لحبيب بورقيبة: ولد في 3 أوت 1903 وقد عرف كيف يضع أسطورته التي ضخمها الخيال الجماعي حيث كان وحده يتقمص الجمهورية والأمة والدولة والحزب جميعا وكانت عناوين تاريخه ورموز مشيئته تتطبع كل مرة بغايات سياسية، ينظر: الطاهر بلخوجة، الحبيب بورقيبة، سيرة زعيم، دار الثقافة، القاهرة، ص 32.

ونتيجة لهذا اللقاء أعطى المدني الكلمة لممثل حركة انتصار الحريات الديمقراطية "مصطفى فروخي" الذي ألقى كلمة قال فيها:[1] "إن كفاح تونس إنما هو كفاح الجزائر، وإن الجزائري الذي ينصر قضية تونس، إنما هو ينصر نفسه قضيته".

على الرغم من نشاط هذه الجبهة إلا أنه تم توقيفها في مطلع الخمسينات فحسب رأى أحد معاصرها فإن الجبهة لم تكن مبنية على وحدة المبدأ أو على اقتناع عقائدي لذلك لم تستطيع مقاومة اختلاف الآراء من حيث النظرة إلى الاستقلال ما أدى إلى تراجعها شيئا فشيئا.[2]

3- خطاب وموقف أحمد توفيق المدني تجاه الاستعمار والاستقلالية:

واجه أحمد توفيق المدني منذ شبابه الاستعمار بكل أشكاله ويتبين ذلك من خلال مقالاته الصادرة في صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تحمل في طياتها بأن الاستعمار الفرنسي يسعى إلى نهب أمواله واستغلال خيرات البلدان.[3]

وأن هذا المستعمر يقيد كل ممارسات الشغب ونشاطاته في مختلف المجالات بالإضافة إلى القيام بغلق المدارس والمساجد وتحويل بعضها إلى ثكنات عسكرية فرنسية أو إلى إسطبلات وغير ذلك مما أدى إلى انتشار الجهل والأمية في أوساط الشعب الجزائري.[4]

كما أشار أيضا "أحمد توفيق المدني" إلى الأوضاع الداخلية التي كانت تمر بها الشعوب التي تحت وطأت الاستعمار من بلايا وعذاب في السجن وتحدث عن قوة وعزيمة هذه الشعوب في مواجهتها للاستعمار رغم ما يستعمله من أسلحة فتاكة.[5]

---

[1] تونس المجاهدة، البصائر، 182، 1 فيفري 1952، ص 01.

[2] بن العقون، الكفاح القومي، 3/ ص 180- 181.

[3] عبد القادر خليفي، أحمد توفيق المدني ودوره، ص 141.

[4] المدني، حياة كفاح، 2/ 406.

[5] أبو محمد، منبر السياسة العالمية، البصائر، 125، 3 جويلية 1950، ص 04.

وصف "المدني" الاستعمار الفرنسي بأنه عدو وجاهل قلبه أسود يحمل الحقد والكره والحلفاء المسلمين عامة في شمال إفريقيا ودليل ذلك الممارسات التي تعبر عن مواقفهم وأرائهم من الدولة العربية الإسلامية.[1]

تحدث "المدني" باسم شعوب المنطقة المغاربية موضحا سياسة فرنسا تجاه أهلهل حيث قال "إن الحكومة الفرنسية كانت ولا تزال فيما يتعلق بكافة القضايا الإسلامية في شمال إفريقيا بمعايير مزدوجة".[2]

كما يمكننا ذكر ما يعبر عن حقيقة المواجهة مع المستعمر، وعن الجرأة القوية في الطرح، نجد أن "المدني" عبر عن يأسه من الوعود الفرنسية الكاذبة مبرزا الحالة التي مر بها الجزائريين، حيث قال: "فعلينا بالتكتل، وتوحيد الصفوف، وتنظيم المقاومات وجمع سائر الرجال العاملين المخلصين، بواجهة واحدة، فإذا تمكنا من تأسيس جمهوريتنا الجزائرية وانتخابنا مجلسنا التشريعي الجزائري، نستطيع يومئذ، أن نتخلص من سائر مصائب الاستعمار... أما الاستمرار على هذه المطالبات الجزئية، والحكومة ليست لنا، والتشريع ليس بأيدينا، فقد أرتنا التجارب منذ أمد طويل أن ذلك نوع من العبث"[3]

[1] أبو محمد، منبر السياسة العالمية، البصائر، 125 ، 3 جويلية 1950، ص 401.

[2] "إلى متى؟" في الشمال الإفريقي، الشهاب، فيفري 1939، 1/ ص 46- 47.

[3] في نادي الترقي، اجتماع عظيم للمطالبة بنقل حي الفساد من المدينة العربية، الإصلاح، 49، 17 ماي 1947، ص 03.

II- نظرة أحمد توفيق المدني للاستعمار في العالم العربي:

رصدنا فيه مواقف المدني من القضايا المغاربية، ومساندته المطلقة لحقوق شعوب المنطقة في التحرر، وكذا دعمه للقضية الفلسطينية باعتبارها القضية المحورية للعرب والمسلمين، وتشبعه بالفكر الوحدوي.

1- القضية التونسية:

إن المتصفح لكتابات المدني يجد أنه تطرق لدولة تونس، حيث تحدث عن الأوضاع التي مرت بها من كل الجوانب وخاصة الجانب الاقتصادي، فهذا الأخير أدى إلى حوادث خطيرة منها: حوادث الملاسين، ثم حوادث المتلوي، والرديف المؤلمة، وتلتها حادثة الجبل الأبيض الغريبة، وقد عبر "المدني" عن كل ذلك بأنه نكبة من النكبات السوداء في تاريخ الاستعمار والرأسمالية القاسية،[1]وأكد أن الشعب الجزائري متضامن مع الشعب التونسي، فكل حركات التحرير متضامنة، وإذا وقفنا اليوم مثله أخ مجاهد إلى جانب الشعب التونسي يدعوا إلى استقلاله والتضامن معه، لأننا نؤمن أن كل أمة تنال حريتها ما هي إلا حلقة تتناقض في سلسلة الاستعمار، حتى تتكسر تلك السلسلة وتذبل.[2]

والظاهر أن "المدني" كان متعلقا بتونس كثيرا، فقد بذل جهود عديدة لتوحيد الجبهة الداخلية التونسية لمواجهة إدارة الاحتلال، وخاصة بعد حدوث انشقاق في الحزب الدستوري سنة 1934، فتحدث في مذكراته عن هذه المساهمة فكتب:[3]«بعد أن آلت القضية إلى خلاف مرير، مؤلم، عنيف، غادرت الجزائر من جديد قاصدا تونس، ساعيا لجمع الشمل، ولإصلاح الموقف بذلك مع أصحابي رجال اللجنة طريقتي في العمل، فوافقوا على تعويضي في حل المشكل القائم بين الطرفين».

---

[1] المدني، حياة كفاح، 422/2.

[2] أبو محمد، منبر السياسة العالمية، البصائر، 182، 01 فيفري 1952، ص 04- 05.

[3] حياة كفاح، 348/2.

وعلى صعيد الكتابة الصحفية، خص المدني القضية التونسية بالعديد من المقالات، لاسيما "بالشهاب" فر ركن "في الشمال الإفريقي"، ويمكن أن نذكر بعضا من تلك المقالات: فقد كتب بعنوان: "مهزلة جديدة بتونس"، تحدث فيه عن السياسة الفرنسية، تجاه العناصر الوطنية تمثلت في العديد من الشخصيات في الحزب الدستوري، الذين أجبرتهم سلطات الاحتلال على[1]دخول المناطق الجنوبية من تونس، للضغط عليهم من أجل تليين موقفهم، إضافة إلى مقال في جريدة "البصائر" بعنوان: "القطر الجزائري كشقيقة القطر التونسي"، نصح كاتبة الجزائريين بضرورة محاربة المنكرات والبدع الضالة سواء في تونس أو الجزائر، والتفطن من غفلتهن أن الدين الإسلامي في حالة حرب، من أجل القضاء عليه بشتى الوسائل.[2]

وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية، رأى "المدني" أن تطور العلاقات الفرنسية التونسية، في ظل الدائرة الاستعمارية، ليس بالأمر الجديد، معتبرا أن الإصلاحات الفرنسية في تونس لم تتجاوز استبدال مقيم عام ومجيء آخر مكانه، وهي سياسة مراوغة لتفريق الشعب التونسي.[3]

والحقيقة أن أحمد توفيق المدني لم يترك مناسبة إلا وأظهر فيها تعاطفه مع القضية التونسية، ومن ذلك تصدره ليوم التضامن الذي انعقد بالعاصمة في 28 جانفي 1952م، دعما للقضية التونسية، ومؤازرتها في كفاحها النبيل، حيث قدم المدني في هذا الاجتماع صورة صادقة عن القطاع والمنكرات التي اقترفتها السلطة بمناسبة تقديم القضية التونسية لمجلس الأمن،[4] واحتجاجا من "المدني" على الإجراءات التعسفية الفرنسية، نشر مقالا بعنوان: "لم يتعلموا شيئا"، قال فيه:[5] كان من المنتظر أن تتطور أزمة المملكة التونسية هذا

[1]في الشمال الإفريقي، الشهاب، أكتوبر 1935، 7/ص 425- 426.

[2] القطر الجزائري كشقيقه القطر التونسي لا يقبل على مخالفي الديانة، البصائر، 07، 14 فيفري 1936، ص 06.

[3]أبو محمد، في الشمال الإفريقي، البصائر، 122 ، 05 جوان 1950،ص 07.

[4]تونس المجاهدة، البصائر، 182، 01 فيفري 1952، ص 01.

[5]أبو محمد، منبر السياسة العالمية، البصائر، 182، 01، فيفري 1952، 04.

التطور الخطير... في إرهاق الأرواح وإهدار الدماء، وانتهاك الحرمات، ذلك أننا نعلم ما هو الاستعمار الفرنسي؟ ونعرف طرقه ووسائله... فكانت أساليب الاستعمار الفرنسي في كل مكان واحدة لا تتبدل ولا تتغير: القتل، السجن، الإرهاب.

والخلاصة أن "أحمد توفيق المدني" عبر عن موقفه الرافض للاستعمار ومساندته الشعب التونسي، وظل مدافعا عن القضية التونسية، إلى أن حققت استقلالها سنة 1956م.

2- القضية المغربية:

لم يفوت المدني أية فرصة للتنديد بالسياسة الاستعمارية في المغرب، بما في ذلك إدانته للإجراءات القمعية التي فرضتها إدارة الاحتلال ضد المغاربة الرافضين لمشروع "الظهير البربري"، والوضع الاقتصادي المتدهور، هذه الإدارة التي قامت بتشريد قادة الحركة الوطنية، ونفيهم خارج المغرب من أمثال: "علال الفاسي"، و "اليزيدي"*، و "الوزاني"*، فكتب معلقا:[1]«إن ما تسلكه السياسة الفرنسية اليوم بالمغرب، لا يدل على أن الفرنسيين لا يزالون يستعملون الأساليب التي أظهرت التجارب فسادها».

وفي هذا المقال، خلص "المدني" إلى أنه إذا نجحت فرنسا في إخماد حدوث المعارضة ببلاد المغرب الأقصى، فإن هذه الأعمال ستترك حتما تأثيرا سيئا في أرواح المغاربة لن يزول، وبالتالي فإن المستقبل سيكون عكس ذلك.[2] ومن جهة أخرى "المدني" قد نسج

*علال الفاسي: ولد عام 1910 بفاس، زعيم لحزب الاستقلال المراكشي، درس بمدرسة الناصرية الحرة، ترأس جمعية سرية في فاس سنة 1926، دعا إلى الوحدة المغاربية والعربية عن طريق التعاون وتبادل المصالح، ينظر: محمد رحاي، من أعلام الحركة التحررية في المغرب العربي، "علال الفاسي أنموذجا"، المستقبل العربي، 432، 2015، ص 137- 139.

*محمد حسن الوزاني: ولد في فاس سنة 1920، ودرس في ثانوية مولاي إدريس، حضر البكالوريا في باريس درس في المدرسة الحرة للفلسفة السياسية، شارك في تأسيس جمعية طلبة شمال إفريقيا سنة 1927، انتخب أمينا عام لها سنة 1928، انخرط في نجم الشمال الإفريقي، وشارك في تأسيس جمعية الاتحاد العربي في باريس سنة 1929، أشرف على جريدة "عمل الشعب"، وبعدها جريدة "إدارة الشعب"، توفي سنة 1978، ينظر: مومن العمري، شعار الوحدة ومضامينه في المغرب العربي أثناء فترة الكفاح الوطني، دكتوراه، جامعة قسنطينة، 2009- 2010، ص 152.

[1]في الشمال الإفريقي، الشهاب، نوفمبر 1937، 9/ 418.

[2]الشهاب، المصدر نفسه،9 / 420.

علاقات قوية مع زعيم حزب الاستقلال: " علال الفاسي "، وهنا يتضح موقفه المناصر خصوصا وأنه كتب مقالا في جريدة البصائر بعنوان "المأساة"، سلطة فيه الأضواء على الأزمة المغربية التي وقعت سنة 1951، بين "الملك محمد بن يوسف الخامس"* والإدارة الاستعمارية بسبب مطالبة الملك بنظام تعاقدي، مبني على التعاون والصداقة، متسائلا عن السلوك الشاذ للسلطات الفرنسية التي تحاول إقناع الملك بالتراجع عن مصلحة بلاده، مستنكرا في الوقت نفسه بالضغوطات الممارسة عليه، مشيدا برد فعل القصر الملكي وحزب الاستقلال.[1]

ونتيجة لموقف المدني المناصر "للملك محمد الخامس"، وحزب الاستقلال، فقد تعرض إلى حملة صحفية، من بعض الجهات المغربية، حيث قام رئيس حزب الشورى "محمد بن الحسن الوزاني" بمعاتبته، والاحتجاج بأسلوب سياسي ومهذب، وفي نفس السياق هناك من اتهم "أبو محمد" وانتقده بشدة ومنهم "التهامي"، بأنه باع قلمه وفكره، وأن جريدة البصائر تم شراؤها،[2] وهو الأمر الذي ردت عليه الجريدة المذكورة في عددها الـ 149، تحت عنوان "نغمة شاذة"، موضحة أن "المدني" كتب ما يمليه عليه ضميره، وفرضت عليه واجب التضامن مع ملك مظلوم وشعب مظلوم، وهو ما ينسجم مع ما تسعى إليه البصائر، التي صارعت دجاجلة الدين، وقارعت فراعنة السياسة.[3]

لم يكن أحمد توفيق "المدني" وحده يبدي انشغاله بقضية المغرب بل كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على انشغال هي أيضا بقضية المغرب، والأكثر صرامة في

*ولد سنة 1909، حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، تعلم اللغة الفرنسية عل يد الأستاذ محمد معمري الجزائري، تمت مبايعته ملكا للمغرب وعمره 180 سنة، دعم وحدة الشعب للوقوف في وجه الاستعمار، نتيجة السياسة الاستعمارية، تم نفيه في 20 أوت 1953م، ينظر: رفيق تلي، نفي محمد بن يوسف من السلطات الفرنسية- دراسة في ظروف و ملابسات النفي ومواقف وردود الفعل المغربية والاسبانية، مجلة متون، 02، 2020، ص 225- 239.

[1]أبو محمد، حول المأساة، البصائر، 145، 05 مارس 1951، ص 04.

[2]محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، 3/ 285.

[3]نغمة شاذة، البصائر، 149، 2 أفريل 1951، ص 03.

فضح المؤامرات الخبيثة التي دبرتها الإقامة العامة الفرنسية بالرباط، والأكثر صرامة في الدفاع عن حقوقه.[1]

3- القضية الليبية:

كان المدني مساندا للقضية الليبية ومؤيدا لها، ويعود هذا إلى سنوات حياته بتونس، فإثر قيام الإيطاليين باحتلال مدينة طرابلس الليبية بتاريخ 29 سبتمبر 1912، كتب متأثرا بالواقعة قائلا:[2]

«... لا أزال أذكر ذلك اليوم الرهيب، وهو أسوأ يوم في حياتي، قلبي يلتهب ورمي يفوز، وأعصابي توشك أن تتحطم».

عندما حل المدني بالجزائر تفاعل مع القضية عن طريق نشر بعض المقالات حولها خاصة عن الزعيم الليبي "عمر المختار"[*]، حتى استشهاده حيث نشر مقالا في شهر أكتوبر 1931 تحت عنوان: «سيد الشهداء- ورأس الأبرار»، قال فيه أن يد الاستبداد الاستعماري اغتالت أحد خيرة الأبطال العرب الذين جاهدوا لمدة عشرين عاما دفاعا عن الإسلام وكرامة الوطن ضد الطغاة المستعبدين.[3]

وبعد الحرب العالمية الثانية، ندد المدني بسياسة تقسيم الأراضي الليبية، إلى مجالات حيوية وتساءل عن هذا المصطلح، إذا كان هتلر دعا إليه، وأرادت ألمانيا تنفيذه، فهو ظلم وخراب، أما إذا دعت إليه دول ديمقراطية وسعت إلى تنفيذه على حساب الشعوب، فهو لحمة وعدل،[4] ولم يتوافى المدني في انتقاد الموقف الفرنسي من القضية الليبية، خاصة بعد صدور

---

[1] أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، 48/3.

[2] احمد توفيق المدني،حياة كفاح، 64/1.

[*] ولد سنة 1958، ألحق بالمعهد الجغبوبي، عين شيخا لزاوية القصور بالجبل الأخضر سنة 1897م، شهد عدة معارك منها: معركته الأولى ضد إيطاليا 1911م، معركة بئر الغبي، ومعركة أم الشافتير، استشهد عام 1931، ينظر: علي محمد الصلابي، الشيخ الجليل عمر المختار: نشأته وأعماله واستشهاده، الشبكة الليبية، ص 1- 7.

[3] حياة كفاح، 453/2.

[4] أبو محمد، منبر السياسة العالمية، البصائر، 76، 18 أفريل 1949، ص 04.

قرار الأمم المتحدة بتاريخ 21 نوفمبر 1949 القاضي باستقلال ليبيا وتوحيد أقسامها الثلاثة: برقة، فزان، وطرابلس، وهو الأمر الذي ثارت السياسة الفرنسية ضده، متحججة بعدم قدرة الليبيين المالية لاستثمار أراضيها، ونتج عن السياسة الفرنسية قرار تقول فيه أن قرار الأمم المتحدة بشأن ليبيا مصطنع، وأن ليبيا ليس لديها ما يكفي من المال أو الغنيين للاستثمار في أراضيها.

وفي نفس السياق خاطب أحمد توفيق المدني فرنسا قائلا أنه من الأنسب أن تحذوا فرنسا وبريطانيا التي حاولت كثيرا تقسيم ليبيا، لكنها وجدت نفسها مهزومة أمام العالم.[1]

كنا نعلم أن الاستقلال هو الفردوس، الذي لا يمكن أن يتخطاه الأعلى جسر من الضحايا، وكنا نعد إخواننا الليبيين أومن يدخلون هذه الجنة دون حساب، فالشعب الليبي على غرار الشعوب التي تعاني الاستعمار كافح من أجل نيل استقلاله وتحقيق ذلك.[2]

4- القضية الفلسطينية:

أبدى أحمد توفيق المدني اهتماما كبيرا بالقضية الفلسطينية، وجعل من مجلة الشهاب منبرا للدفاع عنها، معتبرا أن هذه القضية هي قضية كل العرب والمسلمين، فكتب مقالا بهذا المعنى ذكر فيه، أن نقطة الإحساس في العالم العربي اليوم هي نقطة فلسطين، والخطر الوشيك الذي يهدد العرب في كياتهم، وفي حياتهم وفي وحدتهم، لكنه خطر فلسطين، وأنه لا بد منه. واجب على كل عربي مسلم أن يقف إلى جانب أخيه الفلسطيني ويؤيده ويضحي معه.[3]

---

[1] أبو محمد، في الشمال الإفريقي، البصائر، 105، 30 جانفي 1950، ص 07.

[2] أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، 3/ص 402-405.

[3] الشهر السياسي في عالمي الشرق والغرب، الشهاب، جويلية 1937، 185/5.

كما عبر المدني عن استيائه من الموقف العربي المتهاون، قائلا أننا لا نفهم حتى هذه الساعة ما هي هذه المواقف الضعيفة والمخزية، التي يقف ملوك العرب وأمراؤهم في مواجهة هذا الخطر الكبير الوشيك، كما لو أنهم قاموا بواجبهم.[1]

لطالما ابتهج المدني بالأوضاع الحاسمة التي سيقف فيها الفلسطينيون بحزم دفاعا عن كرامتهم، لأن اللغة التي يفهمها البريطانيون والصهاينة مها هي لغة القوة.[2]

في خضم الأحداث وتفاعلات القضية بعد اقتراح مشروع التقسيم سنة 1937م، وزيادة النشاط الصهيوني من حركة الهجرة والتسليح، استنفر المدني الضمير الإسلامي لإنقاذ فلسطين، لأن الدول العربية الإسلامية رغم تأييدها للشعب الفلسطيني ومناداتها باستقلاله لا يحركون ساكنا حسب المدني قائلا:[3]

«إن قدر الله وضاعت فلسطين، فإنها والله لن تذهب ضحية الصهيونيين، بل هي تذهب ضحية المسلمين الجامدين، وضحية ملوك المسلمين المتغافلين، في عامة المسلمين، ويا خاصتهم ... هذه فلسطين الشهيدة ضائعة متلاشية، فماذا أنتم فاعلون؟»، وظل المدني على ولائه للقضية الفلسطينية، وكان يرى ضرورة الإسراع في تقديم المعونة المادية والمعنوية للشعب الفلسطيني.

والحقيقة أن توفيق "المدني" لم يرغب في اتخاذ إجراءات فردية لدعم القضية، بل رأى في العمل الجماعي قوة فاعلة، خاصة بعد إعلان قيام إسرائيل بتاريخ 15 ماي 1948م، حيث جرت اتصالات عديدة مع هيئات وأحزاب سياسية، وعلى رأسها الشيوخ "الطيب العقبي"، "البشير الإبراهيمي"، و "إبراهيم بيوض"، فتم إقناع أحباب البيان بتوحيد الجهود، وانظم "فرحات عباس" للمبادرة، لكن الجهود لم تنجح مع حزب حركة الانتصار بزعامة "مصالي

[1] الشهر السياسي في عالمي الشرق والغرب، الشهاب، أوت 1937، 329/6.

[2] عبد القادر خليفي ، أحمد توفيق المدني ودوره، ص153.

[3] الشهر السياسي في عالمي الشرق والغرب، الشهاب، أوت 1937، 6/ 329.

الحاج" لأن هذا الأخير تمسك بفكرة الرئاسة، ورغم محاولات المدني وزملائه إقناعه، إلا أنهم لم يتمكنوا من ذلك.[1]

ومما يؤكد حيوية الدور الذي لعبه المدني، وهو رغبة في مشاركة الزوايا في هذه المبادرة، وقد ظهر ذلك في مراسلاته مع القاسمي شيخ زاوية الهامل ب بوسعادة، والردود التي تلقاها والتي رغم شكرها للمبادرة رفضت الانضمام إليها.[2]

وعلى أية حال، تشكلت الهيئة العليا لإعانة فلسطين، وضمت: الإبراهيمي، و العقبي، و بيوض، وفرحات عباس، ونصبت لها هيئة تنفيذية مركزية، كان على رأسها أحمد توفيق المدني، قامت بنشاطات كبيرة، دعائية وتضامنية لصالح الشعب الفلسطيني، كإرسال برقيات الاحتجاج إلى الجهات الرسمية، كالبرقية التي أرسلتها الحكومة الفرنسية التي اعترفت بدولة إسرائيل، معتبرة القرار الفرنسي إساءة للعلاقات بين فرنسا والإسلام.[3]

كما اتهمت لجنة الأمم المتحدة بالتواطؤ مع الحركة الصهيونية، مؤكدة أن قيام إسرائيل، على أرض فلسطين يتعارض مع ميثاق المنظمة الدولية، وخرق للسلام العالمي.[4]

والحق أن اللجنة، لم تكتف بالشعارات، بل قدمت دعما ماليا للفلسطينيين، قال عنه البشير الإبراهيمي: «فاجتمع لدينا من هبات المحسنين عدة ملايين من الفرنكات، أبلغناها إلى مأمنها في فلسطين، ... ورفعنا رأس الجزائر».[5]

ويؤكد المدني هذا الأمر مضيفا بأنه انتقل شخصيا إلى باريس موفدا من اللجنة، وحمل معه ثلاثة ملايين فرنك، سلمها يدا بيد للسيد: "أحمد ثروت"، سفير مصر بباريس، بحضور "إسماعيل صبري باشا" خال الملك "فاروق".[6]

---

[1] البشير الإبراهيمي، كيف تشكلت الهيئة العليا لإعانة فلسطين، البصائر، 52، 11 أكتوبر 1948، ص 01.

[2] أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، 2/ 536.

[3] عبد القادر خليفي، أحمد توفيق المدني ودوره، ص 154.

[4] المدني، حياة كفاح، 2/ 540.

[5] محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير، ص 142.

[6] المدني، حياة كفاح، 541/2.

تعتبر قضية فلسطين قضية دينية قومية سياسية، تحظى باهتمام كبير لدى الشعب الجزائري على العموم، فهي في نظر الحركات الوطنية الجزائرية قضية فوق كل الاعتبارات الحزبية وأنه لا فرق بين الجزائر وفلسطين،[1] وما يؤكد اهتمام الشعب الجزائري، القضية الفلسطينية هو مدى انتشارها في الأدب الجزائري، كما أشار إليها الكاتب في الصحافة الوطنية، مما جعلها تشغل الرأي العام، حيث تم تخصيص افتتاحيات صحفية وأبواب دائمة، لدراسة طبيعة فلسطين وأهميتها التاريخية والوطنية للعرب، وشارك في الدعوة إليها كبار الكتاب والمفكرين الجزائريين، أمثال: ابن باديس- أحمد توفيق المدني- الإبراهيمي- العقبي- محمد العيد.[2]

ساند المدني القضية الفلسطينية واعتبرها قضية العرب والمسلمين جميعا، هذا نظرا لوعيه بمكانة فلسطين فهي أولى القبلتين وثاني المسجدين وثالث الحرمين الشريفين.

[1] محمد البشير الإبراهيمي، الهيئة العليا لإعانة فلسطين،ص 01.

[2] أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص 108.

III- موقف المدني من بعض القضايا من خلال كتاباته في الجرائد:

سجلنا فيه مواقف المدني من بعض القضايا كظاهرة التجنيس، والاحتفالات المئوية الفرنسية، و الطرقية، والمسألة البربرية.

1- قضية التجنيس والتمييز العنصري في الجزائر:

أثارت قضية تجنيس الجزائريين المسلمين ضجة كبيرة، في صفوف النخبة الجزائرية والعلماء المسلمين الجزائريين، وحتى بين المحتلين الذين رفضوا بشدة تجنيس الجزائريين، قبلوا أن تكون أرض الجزائر فرنسية، ورفضوا أن يكون الإنسان الجزائري المسلم فرنسيا.[1]

والواقع أن فكرة تجنيس الجزائري ليست وليدة القرن 200، بل تراجع إلى العهود الأولى للاحتلال، حيث أخذ التجنيس صبغة قانونية بصدوره تحت اسم "سيناتوس كونسيلت" (Senatus Consulte) بتاريخ 14 جويلية 1865م، الذي نص على أن الجزائريين رعايا فرنسيون يحتفظون بقانون الأحوال الشخصية الإسلامية، ويمكنهم كذلك الحصول على الجنسية الفرنسية، ولكن بشرط التخلي عن أحوالهم الشخصية الإسلامية.

وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى، صدرت أحكام قانون 04 فيفري 1919م، شجعت عددا كبيرا من الجزائريين على طلب الجنسية الفرنسية، لذلك تسارعت حركة التجنس خاصة بعد سنة 1930، كما يوضحه الجدول الآتي:[2]

[1] عز الدين معزة، فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الاستقلال (1899- 1985)، مذكرة ماجستير، جامعة قسنطينة، 2004، ص72 .

[2] علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، ترجمة: محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص 492.

السنة	عدد المتجنسين	السنة	عدد المتجنسين	السنة	عدد المتجنسين
1920	17	1926	67	1932	127
1922	56	1928	38	1934	155
1924	29	1930	152	1936	142
				1938	190

ومن أبرز الشخصيات التي كتبت في هذا الموضوع أحمد توفيق المدني الذي بين مدى الخطر الذي يترصد بالأمة من وراء مشروع التجنيس، حيث نشر مقالا في جريدة الشهاب ممضيا باسمه المستعار: "المنصور"، تحت عنوان "بين الموت والحياة"،[1] حيث تساءل هل يمكن للشعب العربي والمسلم في الجزائر أن يصبح فرنسيا خالصا في أخلاقه ولغته وتقاليده وعاداته.

تم رفض مشروع التجنس من قبل أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على رأسهم أحمد توفيق المدني وفي هذا الصدد قال:[2]«أن زعيم المتجنسين وهو السيد ساطور، ولد له طفل أطلق عليه اسم كريستيان أي: المسيحي، وشاءت الأقدار أنني رزقت في نفس الليلة بولد ودعوته إسلام، ففي هذين الاسمين منهاج سياستين: سياسة التجنيس، وسياسة العروبة والوطنية والإسلام»، وهذا دليل واضح على رفض أحمد توفيق المدني، لسياسة التجنيس التي اعتمدتها فرنسا في الجزائر، كما يتضح موقفه الرافض من خلال كتاباته، معتبرا أنها كانت دعاية فاحشة، وما زاد الطين بلى، أن جريدة الإصلاح التي أصدرها الشيخ

[1] المنصور، بين الموت والحياة، الشهاب، أفريل 1930، 3/ ص 164- 167.

[2] حياة كفاح، 2/ 249.

الطيب العقبي، كانت متحمسة لهذه الفكرة وبدأت في الترويج لها، وكتب الأمين العمودي فيها مقالات تحبذ هذا المسار المعوج.[1]

2- الاحتفالات المئوية للاستعمار الفرنسي في الجزائر:

لم تكتف السلطات الاستعمارية بما فعلته من إساءات وقتل وانتهاك للمقدسات طيلة القرن، بل تجاوزت ذلك لتتوج مآسيها بإقامة حفل كبير على رفات شعب لم يؤمن برسالتهم، ولم يخضع لقوتهم الحديدية، حيث تم اختيار عام 1930م، للاحتفال بمرور مائة سنة على التواجد الفرنسي بالجزائر.[2]

لقد شعر معظم الزعماء السياسيين الجزائريين باستفزاز السلطات الاستعمارية لهم، ومن بينهم "أحمد توفيق المدني"، الذي أكد أن هذه الاحتفالات في حد ذاتها هي إهانة للجزائريين في عقيدتهم وشخصيتهم القومية حيث يقول في هذا الشأن:[3]«إن احتفال الفرنسيين بمرور قرن على احتلالهم، قد قدم القضية الجزائرية عشرين سنة على الأقل»، وكرد فعل على هذه الاحتفالات قام المدني بنشر مؤلفين: "كتاب الجزائر" الذي عرض لأول مرة في تاريخ الجزائر وواقعها، وكتاب "محمد عثمان باشا"، وفيه بين المدني الحقائق التاريخية التي حاول الفرنسيون طمسها حين قالوا طيلة مائة عام أن الجزائر كانت مستعمرة تركية في حالة بؤس وشقاء وحروب أهلية إلى أن جاء الفرنسيون فحرروها ومدنوها.[4]

والحق أن توفيق المدني لم يقف موقف متفرج لهذه الاحتفالات، بل دفعته إلى التحرك العملي لمواجهة هذه الدعاية وتأثيراتها ومن ذلك نشره لمقال بجريدة الشهاب تحت عنوان "بين الموت والحياة"، رفع من خلاله الراية الحمراء، منذر بالخطر المحدق بالجزائريين، وفي

---

[1] المدني، حياة كفاح، 237/2.

[2] محمد قنانش، الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين 1919م- 1939م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 51.

[3] أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، ص 166.

[4] محمد بوطيبي، بواكير كتابة تاريخ الجزائر خلال النصف الأول من القرن 20، (كتابات أحمد توفيق المدني أنموذجا)، مجلة تاريخ العلوم، 13 (2020)، ص 202- 204.

هذا الشأن خاطب الجزائريين قائلا:[1]«وعلى من تريدون أن تعتمدوا لحفظ دينكم ولغتكم؟ أتعتمدون على الحكومة؟ إن الحكومة قد عاشت اليوم معكم مائة عام كاملة، فماذا كانت نتيجة جهودكم لتعليمكم الإسلام والعربية؟».

وهكذا فإن الاحتفالات المئوية، إن كانت قد عبرت عن عظمة الاستعمار وقوته ف البلاد، فإنها صارت وبالا على أصحابها، حيث أضحت نقطة انطلاق جديدة للحركة الوطنية الجزائرية.

3- رؤيته للطرق الصوفية ودورها في المجتمع الجزائري:

تعتبر المواقف المتشددة لأحمد توفيق المدني جزءا لا يتجزأ من مشروعه النضالي، لقد خلق للتأثير على كل ما هو مخالف للعقل والشريعة الإسلامية، حيث تميز الواقع الديني والاجتماعي في ذلك الوقت بتعدد الطرق الصوفية وما هو متعارف أن الطرق الصوفية أخذت طريقها في المغرب العربي منذ القرن 11 ونجدها مركزة في المناطق الجنوبية على وجه الخصوص وهي متشابهة، فنجد الطريقة القادرية في الجزائر وتونس بالإضافة إلى الطريقة التيجانية، الطريقة الشاذلية طرق أخرى.[2]

لكن "أحمد توفيق المدني" عند حديثه يتكلم عنها من الجانبين: الجانب الإيجابي: في كونها حافظت على الموروث العربي الإسلامي في كافة البلاد المغاربية من خلال الكتاتيب التابعة لها، الجانب السلبي: هو ما لحق بهذه الطرق من خرافات وأباطيل وضلالات مستمدة أصولها من مذهب وحدة الوجود وقد أكد لنا المدني ذلك من خلال ذكره لمقبرة "محمد بن عبد الرحمان" المشهورة بالجزائر العاصمة، وفي الحفل السنوي الذي قام به رجال الطريقة الرحمانية، ببين "المدني" ما كان يحصل بأنه من أعظم البدع.

---

[1] عبد القادر خليفي، أحمد توفيق المدني ودوره، ص 172.

[2] هادية صيود، أحمد توفيق المدني الوسيط النضالي بين تونس والجزائر من خلال مؤلفه حياة كفاح، عصور الجديدة، 8، (2017)، ص 151.

بالرغم أن ظاهرة هذا الحفل كان مستقيم المعنى، صحيح المبنى، فيه الصلاة على النبي محمد عليه الصلاة والسلام، وفيه الموعظة والذكرى.[1]

كان رجال الطرق الصوفية حاضرين في نادي الترقي، خاصة عندما تأسست هيئة علماء الجزائر في 5 ماي 1931، كما انظموا إليها بين عامي 1931- 1932 وحاولوا الاستيلاء عليها بالانتخابات.

لكن محاولاتهم باءت بالفشل مما دفعهم للانسحاب وتأسيس هيئة علماء السنة برئاسة المولد الحافظي.[2]

كان "المدني" ضد الطرق الصوفية نقد أفكارها لأنها تعمل لصالح الإدارة الفرنسية من خلال تفريق الشعب وتحريف الدين ويقول "طرق صوفية مضلة ظاهرها الرحمة وباطنها من قبلها العذاب فرقت الشعب، وشتتت الشمل، ومزقت عرى الدين، حتى أصبح كل منتسب لطريقة ما، وما أكثر الطرق، يلعن ويسب ويشتم، بل يخرج من الدين كل المنتسبين للطرق الأخرى، وبذلك تحكم الاستعمار وساد".[3]

ولعل شدت الصراع كانت مع الطريقة العليوية، التي كانت أكبر الطرق الصوفية انتشارا في بداية القرن 20، فقد تعجب "المدني" من تأسيسها قائلا: «كيف تمكن الشيخ "أحمد بن عليوة" من إنشاء طريقة صوفية وهو شبه أمي؟» وقد شن عليه المدني حملة انتقاد ووصفه هيأة شيطان في جسم إنسان.[4]

سيطرت الطرق الصوفية على الفكر الإسلامي والمجتمع العربي، خلال القرن 19 سيطرة كبيرة حيث بلغ عدد الزوايا في الجزائر 349 زاوية، و أدى ذلك إلى ظهورالفقهاء

[1] المدني، حياة كفاح، 2/ 108.

[2] الوناس الحواس، نادي الترقي ودوره ، ص 210.

[3] حياة كفاح، 118/2.

[4] حياة كفاح، 2/ 112.

والعلماء الذين عرفوا بمعارضتهم للصوفية ومحاربتهم بكل الوسائل، وذلك بسبب الظروف التي سادفيها الركود وكثرة البدع، واستسلام الناس للمصير.[1]

4- قضية المسألة البربرية (الظهير البربري) في الجزائر:

عمد الاحتلال الفرنسي إلى ابتكار النزعة الجهوية وتغذية العنصرية القبلية، بغرض تشكيل حركة بربرية انفصالية، معادية للعروبة والإسلام وتكون موالية له، ومن هنا كان التركيز على المناطق ذات الأغلبية البربرية، قصد فرنستها، وإدماجها في المجتمع الفرنسي، ويبدوا أن السياسة الاستعمارية في هذا المجال كانت تقر بـ:

*وجود تناقض أبدي بين العرب والبربر.

* أفضلية الجنس البربري على العرب، وذلك لقابليته بتقدير الاستعمار على التطور المدني والحضاري.

* استعداد البربر واكتسابهم لأهلية الاندماج بالمجتمع الفرنسي سياسيا واجتماعيا وثقافيا.[2]

حاول الفرنسيون فصل المناطق التي يقطنها الأمازيغ، عن بقية أجزاء الوطن الأخرى، فمنعوا تدريس الثقافة العربية الإسلامية للأبناء القبائل، وتعويضها بنشر الثقافة الفرنسية، واعتبروا شعب القبائل من أصل الغاليين (Les goulois) والرومان،[3] ومن ذلك ما رد به الشيخ "أحمد توفيق المدني" على الكتابات الفرنسية في مؤلفه كتاب الجزائر أصول العرب والبربر وأكد على أنهم ينحدرون من سلالة واحدة، وهاجم المؤرخين الأوروبيين، الذين يحاولون ترسيخ أفكار خاطئة عن البربر قصد تحويلهم عن أصلهم الأسيوي.[4]

---

[1] عمار طالبي، أثار ابن باديس، الشركة الجزائرية، الجزائر، 1968، 1/ 18.

[2] مالكي أمحمد، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994، ص190.

[3] عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء وعلاقاتها،ص 127.

[4] المرجع نفسه،ص 133.

- عالج المدني قضية الظهير البربري الذي ظهر في 16 ماي 1930 تحت ضغط الحماية الفرنسية والذي يرتكز على التفرقة بين العرب والبربر في الأمور والتشريعية والمدينة، اجتمع المؤرخين أن قضية صدور الظهير البربري قد مثلت الانطلاقة الحقيقية للحركات الوطنية بالمغرب، ويهدف هذا الظهير إلى فك التركيبة الاجتماعية للمغرب ومحاولة فصل العرب فن البربر، الأمر الذي أثار حفيظة المغاربة بصفة خاصة والمسلمين بصفة عامة.

حيث أكد المدني على ترابط أبناء المغرب الأقصى وهذا ما جاء في كتابه المسلمون في صقلية وجنوب إيطاليا حين قدم تعريف عن البربر بالقول: "أمة البربر الأمازيغية الأدبية، وهي مجموعة أقدام ما وهنت أمام جبروت الظالمين وما ضعفت قواها تجاه إرهابهم وبطشهم الشديد ... فالبربر على تفرق شلهم، كان أكثر الناس إستماتة في سبيل الحرية وأشد الناس تضحية في ميدان الاستقلال".[1]

وتطرق المدني إلى مدى تماسك العرب والبربر وامتزاجهم قائلا: «لقد فهم البربر أخيرا بعد طول اختلاطهم بالعرب، وأخذهم الدين واللغة عنهم ... مما أمكن القطر ما كان يرجوه منذ وقت قديم الأزمان».[2]

وفي سنة 1939 حذر المدني من الخطر الذي يهدد العربية والإسلام في منطقة القبائل داعيا إلى العمل من أجل انقاض الوضع وتفاقمه، كما ندد بأعمال الآباء البيض الذين يعملون على تنصير المسلمون، وإخراجهم من الحظيرة العربية والدين الإسلامي.[3]

وخلاصة القول أن غيرة المدني على الوحدة الوطنية، وإحساسه بالمسؤولية التاريخية تقف وراء ما طرحه من أراء وما نادى به من دعوات.

---

[1] أحمد توفيق المدني، المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، ط2، المؤسسة الوطنية الكتاب، الجزائر، 1985، ص 48.

[2] المصدر نفسه، ص 49.

[3] عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء وعلاقاتها، 132.

ثانيا: القضايا الاجتماعية:

عرفت الجزائر خلال هذه الفترة عدة مشاكل عويصة، عجزت الإدارة الاستعمارية عن إيجاد حلول لها، ومن أخطر هذه المشاكل: مشكلة الإيواء أو أزمة السكن، والحالة الصحية، وكذلك مسألة المرأة الجزائرية.

1- مشكلة الإيواء (السكن):

قامت الحكومة الفرنسية سنة 1921م، بتأسيس "ديوان السكن" بنواحي باب الوادي، لتغري الجزائريين وذلك لتقديم طلباتهم للحصول على سكن بسبب الشروط المادية التعجيزية، لكن هذه السياسة الجديدة في مجال السكن لم تأتي بنتيجة، ما دفع الجزائريين إلى اللجوء إلى تشييد الأكواخ على حواف وضفاف الأودية، وكان ذلك في 1926م، حيث وصل عدد هذه الأحياء في العاصمة فقط إلى 13 تجمعا سكنيا سنة 1938م، وكانت مراكز لكل أشكال البؤس الاجتماعي.[1]

ونظرا لتراكم مشكلة السكن في المدينة المتمثلة في تشكيل مدن قصيرة التي أقامها أصحابها على [نمط يؤذي الناظرين ويلعن المتمدنين]، تساءل "أحمد توفيق المدني"، إن كان في برنامج لجنة السكن وميزانيتها سيزيلان منظرها الضار، ويستبدلان مستويين العلوي والسفلي بتخطيط أحياء أخرى لإيواء سكانها البائسين.[2]

وبعد مناقشات عديدة حول مشكلة السكن، اقترح الدكتور "قاضي" تخصيص مبلغ 500 مليون، وذلك لهدم مدن قصيرة ولتطهير الجزائر العاصمة وضواحيها من الأمراض الفتاكة، والتخلص من مناظرها المؤذية، بإقامة مدن أخرى تتوفر فيها شروط الصحة والنظافة وتكون معبرة عن الرقي الاجتماعي في البلاد، غير أن اللجنة رفضت الاقتراح، ورأت أنه من

[1] محمد قريشي، أزمة السكن ومشكل الإيواء بالجزائر خلال الفترة 1930 و 1954، حوليات التاريخ والجغرافيا، 12 (2017)، ص225.

[2] أبو محمد، في الشمال الإفريقي، البصائر، 147، 19 مارس 1951، ص06.

الضروري الالتفات إلى البادية التي يجب إجراء إصلاحات اجتماعية فيها، وفي هذا الإصلاح قال أحدهم:[1]«ألا يمكن الجمع بين الإصلاحين: هدم هذه الأكواخ، وإصلاح الحال بالبادية ... فكان الجواب طبعا أن الميزانية لا تسع الإصلاحين»، في حين فتحت جريدة "لاديبيش كوتيديان" (La Dépêche quotidien)، استفتاء في موضوع أزمة السكن في الجزائر، حددت له تاريخ 19 سبتمبر 1953م، كآخر أجل للمشاركة في الاستفتاء وقد جاء فيه: هل لك مسكن؟ ولماذا لم تحصل على سكن، هل أنت مسرور بمسكنك؟ ولماذا لم تكن مسرورا بمسكنك؟ ماهو ثمن الكراء الذي تدفعه؟ وما أقصى ثمن الكراء الذي تستطيع دفعه؟ إلى أين اتجهت في طلب المسكن؟: (إلى البلدية أو إلى الوكالات أو الإعلانات والعلائق الشخصية؟).[2]

ومن خلال هذا الاستفتاء قال المدني إنها فرصة ثمينة أن ينتهزها كل من يشتكي من ضائقة أو قلة المرافق في مسكنه للتعبير عن آلامه وأحلامه، أما سكان مدن الصفيح ومن أمثالهم الذين يقبعون في أكواخ لا تلبي احتياجاتهم، يجب ألا نسمح لهم بالمغادرة للمشاركة في هذا الاستفتاء للتعبير عن آلامهم وأحلامهم، فهم لا يشكون في الضيق أو الإحراج.[3]

وفي أكتوبر 1953م، شهدت الجزائر زيارة لوزير البناء والسكن، الذي أدلى بتصريح فور نزوله من الطائرة جاء فيه: «إني جئت الجزائر لأرى وأسمع وأتأمل». فكانت هذه العبارة محور تنقلاته كلها، وكانت الصحف المهتمة بهذه التنقلات تكرر هذه العبارة من أجل الدعاية الاستعمارية، كما أشارت أن رئيس بلدية الجزائر، قد عرج في إحدى خطبه على ما سماه "مأساة مدن القصدير"، داعيا المسؤولين إلى وجوب وضع علاج لها، وعلى إثر ذلك

[1]أبو محمد، في الشمال الإفريقي، البصائر، 149، 2 أفريل 1951، ص 04.

[2]أبو محمد، في الشمال الإفريقي، "في الجزائر"، البصائر، 241، 25 سبتمبر 1953، ص 06.

[3]المصدر نفسه، ص 06.

قال المدني:[1]«كلها أقوال طالما سمعها الناس في مثل هذه المناسبات من غير أن يقفوا لها على أثر في ميدان الأعمال، فأرونا أعمالا لا أقوالا».

لقد مرت الجزائر بأزمة حادة فيما يتعلق بمشكلة الإسكان، والتي يمكن التغلب عليها، بإصلاحات سريعة، خاصة في الزيادة المستمرة في عدد السكان بشكل ملحوظ، وهذا ليس السبب الوحيد الذي خلق هذه الأزمة، بل يعود كذلك إلى السياسة التي انتهجتها الإدارة الفرنسية نفسها، إضافة إلى تماطل الإدارة كثيرا في إنجاز المشاريع السكنية، والتوزيع غير العادل للسكنات الجاهزة،[2] ومن خلال هذا عبر المدني عن ما صنعته الميزانية بين سنتي 1951م- 1954م، في ميدان الإصلاح الاجتماعي، الذي أمل أن تغير الأوضاع إلى الأحسن وأن تقوم بفك العزلة عن البادية وأن توفر لهم كل ضروريات الحياة من صحة وتعليم وصناعة.[3]

2- الصحة العامة:

كان المستوى المعيشي المتدني، سببا كافيا لتدهور الحالة الصحية للجزائريين إضافة إلى حالة البؤس وضيق الأكواخ، وتكدس السكان فيها بكثرة، حتى تحولت إلى حقول خصبة لظهور ونمو الأمراض المعدية.[4]

إن الجزائريين الذين يسكنون المدن والقرى الكبيرة وعددهم لا يتجاوز نحو المليون والنصف مليون، يسكنون المنازل التي تختلف قيمتها الصحية، باختلاف موقعها وفي هذا الشأن يقول المدني:[5]«في أغلب الأحيان لا يستطيع العامل أن يتحمل نفقات الطبيب

[1]أبو محمد، في الشمال الإفريقي، وزير البناء والمسكن في الجزائر، البصائر، 245، 30 أكتوبر 1953، ص 06.

[2]حورية بن فضة، الجزائر في عهد الحاكم العام نايجلان (1948- 1951)، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2011-2012، ص 98.

[3]أبو محمد، في الشمال الإفريقي، "في الجزائر"، البصائر، 150، 09 أفريل 1951، ص 06.

[4]يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830- 1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1983، ص 58.

[5] المدني، كتاب الجزائر، ص 359.

والصيدلي، إذ أن الأغلبية الكبرى من سكان المدن خاصة الساحلية منها عمال فقراء، أما أصحاب الخيام، فأولئك هم البائسون الذين يقضون حياة الشقاء ويموتون موت العذاب الأليم»، وأضاف أحمد توفيق المدني أنه في سنة 1927م، لبى 18607 شابا من مدينة الجزائر نداء السلطة العسكرية للخدمة العسكرية، لكن السلطة وجدت أن 8268 منهم غير لائقين، لأن حالتهم الصحية حالت دون ذلك.

أما بالنسبة ل تيزي وزو في نفس السنة فتقدم منها 8484 شابا، لكن كان عدد الذين لا يستطيعون تحمل أعباء الخدمة العسكرية 3441، وكانت النتيجة الرهيبة لتلك الحالة الصحية أن أطفال الأهالي يموتون في مقتبل العمر، فقد نشر الدكتور "لافون"، المدرس بكلية الطب الجزائرية بحثا جاء فيه:[1]«أن الإحصاء يؤكد لنا أنه يموت من الثمانية والثلاثين ولدا مسلما نحو 20 أو 25 حسب البقاع المختلفة ... بسبب فقد وسائل الصحة والجهل».

وبتاريخ 26 جوان 1926م، طلب الوالي العام "مسيو فيوليت" من النيابات المالية أن تقرر ميزانيتها 5 ملايين فرنكا، تخصص لإعانة النساء المسلمات الفقيرات أثناء الولادة، إلا أن المجلس رفض ذلك بأصوات 30 ضد أصوات 26، وكان نواب الأهالي في الجلسة 15 فقط، ولم يحظر الستة الآخرون تلك الجلسة، حيث يقول المدني:[2]«أقول تخلفوا عمدا، لأنني بعيني رأسي رأيت اثنين منهم يصولان ويجولان ... خارج جدار المجلس، بينما كان الوالي العام يتلقى هجمات خصومه القوية، وهو يناضل ويكافح ... لكي يتحصل على تلك الإعانة».

أقدمت اللجنة الخاصة بمجلس الجزائر على إقامة ميزانية من أجل فك العجز القائم ومحاولة تحقيق الأمن، لكن أحمد توفيق المدني يرى بأنها مجرد سياسة عابرة، كما أن الميزانية غير كافية لمعالجة جميع الجوانب، لذلك تساءل المدني عما إذا كانت الميزانية أن

[1] المصدر نفسه، ص 360.

[2] أبو محمد، في الشمال الإفريقي، البصائر، 145، 5 مارس 1951، ص 06.

تتسع للصحة العامة،[1] بسبب عدم توفر الوسائل اللازمة لهذه الصحة، من طبيب ومستشفى، ومركز صحي، وهل يمكن أن تكون الميزانية قادرة على التعامل مع أي شيء في هذا المجال؟.

ومع بداية سنة 1952م، لاحظ أعضاء مجلس الجزائر أن الميزانية لم تكن في ماضيها توزع حسب حاجات البلاد توزيعا عادلا، وهذا ما ترك مناطق كثيرة تعاني من الفقر، ولم يمسسها أدنى إصلاح اجتماعي أو صحي مقارنة مع مناطق أخرى، ذات حظ من الميزانية، وفي هذا الصدد يتساءل المدني:[2]

«هل أن للقائمين على توزيعها أن يلتفتوا قليلا إلى هذه الجهات المحرومة، من خيراتها ومنشآتها؟»، وتميزت هذه اللجنة عن اللجان الأخرى المتهكمة في دراسة الميزانية، أنها تعالج شؤون الميزانية التي تتصل بالأهالي اتصالا متينا، وقد قررت أن تقوم بزيادات في الميزانية الجديدة من أجل تحسين الأحوال الصحية في البادية، بتأسيس مراكز صحية فيها.[3]

لقد عرفت الجزائر في الفترة الممتدة ما بين 1948م و 1954م، انتشار أمراض خطيرة وذلك راجع إلى أن الإدارة الاستعمارية، ولم توفر للمرضى الجزائريين أي علاج أو دواء، فلم توفر لهم الإمكانيات لمعالجة مرض السل، والجدول الموالي يوضح انتشار الأمراض في ضواحي العاصمة.

[1] أبو محمد، في الشمال الإفريقي، البصائر، 145، 5 مارس 1951،ص 06.

[2] أبو محمد، في المجلس الجزائري، البصائر، 186، 7 أفريل 1952، ص 06.

[3] أبو محمد، في الشمال الإفريقي، في الجزائر، البصائر، 146، 12 مارس 1951، ص 06.

المرض / السنة	التفيوس	الجدري	الحصبة	التفوئيد	الدفتيريا	حمى المستنقعات	جروح المعدة
1948	/	/	422	1005	551	43	291
1949	/	/	314	930	652	05	199
1950	/	/	146	1030	802	03	105
1951	/	/	102	853	577	02	10
1952	/	/	86	891	851	02	03
1953	/	/	56	776	600	/	02
1954	/	/	67	546	494	/	/

ويتضح منم خلال هذا الجدول أن الكثير من الأمراض المعدية كالتيفوس كانت منتشرة بالجزائر، وأن فرنسا لم تحاول علاج أسباب المشكل التي بقيت مطروحة بشدة، والتي تنحصر في الفقر والجهل.

وبملاحظة عامة، فإن الجزائريين لم يجنوا من ثمرات التكوين للأطباء والممرضين إلا القشور، وبقيت زيادات مصالح الصحة للقرى النائية قليلة، ومجرد زيارات سنوية لا غير.

3- مسألة المرأة:

منذ ظهور جمعية الإصلاح في الجزائر في القرن العشرين، وهي تحاول جاهدة بكل ما توفر لديها من وسائل، للنهوض بالمرأة الجزائرية، وإخراجها من قبو الجهل والتخلف والفقر الذي فرضته سياسة المستعمر، وقد تجلى ذلك الاهتمام واضحا في كتابات كتاب وشعراء

الجمعية الذين أدركوا قيمة ومكانة المرأة ودورها الخطير في المجتمع، وفي تنشئة الجيل، وتربية للمستقبل.[1]

وقد ظلت الحركة الوطنية عامة، والحركة الإصلاحية خاصة، تطالب برفع القيود والحواجز أمام المرأة الجزائرية، التي حرمت من كل شيء ماعدا قدرة الإنجاب، ونتيجة ذلك، أصبحت فريسة سهلة للخرافات والبدع، وأصبح نشاطها الاجتماعي يدور حول نقل الأحجية، وحرق البخور، وزيارة الأولياء والقبور،[2] وهذا ما أكده أحمد توفيق المدني، أن المرأة المسلمة في قطر الجزائر تتميز بجهل كبير، لم يفكروا أهل عرقها في إنشاء مدارس خاصة لها بعد أن تضاءل دور المعلمة، والمدارس الحكومية للبنات كانت تضم حوالي ثلاثة آلاف بنت فقط، بغض النظر عن نوع التعليم الذي يتلقينه هناك.[3]

أشار المدني أيضا إلى وضعية المرأة الجزائرية، فوصفت بالمتدهورة لاسيما فيما يتعلق بالمستوى الثقافي إلا أنها امتازت بخلال كريمة، وحافظت على التقاليد والعادات المعروفة، وفي هذا الشأن يقول:[4]«أنها على مستوى كامل القطر الجزائري تتحجب في المدن، أما في البادية فقلما تجد للحجاب وجودا، وهناك ترى المرأة تعمل مع زوجها».

أما بالنسبة لعمل المرأة خلال الفترة الاستعمارية، فقد وصل الفقر في بعض الأحيان لنساء البادية لدرجة أنهن هاجرن إلى المدن، حيث عملن خادمات في منازل أوروبية ومنازل اليهود، ويقودهن الفقر والحاجة إلى بيوت المواخير فأغلبية النساء في الجزائر، تعاني من المهد إلى اللحد، آلام الفقر والحاجة والعمل، وهي بالكاد تعرف معنى الحياة، ولا متعة العيش بطريقة ما.[5]

---

[1] عجناك بشي يمينة، المرأة في كتابات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، جامعة الجزائر 02، ص 61.

[2] مراد قبال، قضايا المرأة الجزائرية من خلال صحيفة الشهاب (1925- 1939)، دراسات تاريخية، 1، (2021)، ص 218.

[3] كتاب الجزائر، ص 362.

[4] المصدر نفسه، ص 362.

[5] أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، 362.

وانطلاقا من هذا الواقع المزري والمتدني الذي آل إليه حال المرأة الجزائرية راح رجال النهضة والعلماء المصلحون يعملون على التخفيف من هذه المعاناة ويدعون في خطاباتهم إلى وجوب إصلاح شؤونها من خلال بيدها وتقدير شخصيتها حق قدرها، فهي الأم والبنت والأخت وشريكة الحياة.[1]

ثالثا القضايا الثقافية:

عزز الاحتلال عملية الغزو العسكري بغزو ثقافي وفكري يهدف تحطيم الشخصية القومية للشعب الجزائري، شمل التحرك جميع الاتجاهات كضرب اللغة العربية، وكسر العادات والتقاليد، وتشويه صورة الإسلام ومحاولة القضاء عليه.

1- الدفاع عن اللغة العربية والاهتمام بالتعليم:

حاول الاحتلال القضاء على اللغة العربية تماشيا مع سياسة الفرنسة والتكامل، وتمثل ذلك في: إلغاء معظم مراكزها المتمثلة في المدارس والمساجد والزوايا، حتى تحول بعضها إلى معاهد للثقافة الفرنسية، وبعضها تم تسلمها إلى هيئات تبشيرية مسيحية اتخذتها مركزا لنشاطها في تدمير عقيدة الجزائريين، وهدمها آخرون بحجة إعادة تخطيط المدن الجزائرية.[2]

لعل أغرب الإجراءات التي استهدفت القضاء عليها هي قانون 8 مارس 1983 الذي اعتبر العربية لغة أجنبية بين أبناءها، وشدد على منح تراخيص لتدريسها في مدارس مجانية بشروط شبه مستحيلة، لأن فتح مدرسة تعليم اللغة العربية في الجزائر كان ولا يزال في نظر الفرنسيين أخطر من فتح مادة مخدرة، تدار الكوكايين والسموم الأخرى فيه.[3]

---

[1] عبد المجيد بن عدة، الخطاب النهضوي في الجزائر (1925- 1954)،رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2004- 2005، ص303.

[2] رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الوطنية 1931- 1956، ط2، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1981، ص 93.

[3] الفضيل الورتلاني، الجزائر الثائرة، دار الهدى، عين مليلة، 1992،ص 97.

منذ أن فتح التعليم عيون أهل المستعمرات، وزودهم بالطاقات الفكرية والروحية للثورة على الاستعمار، عمل الاستعمار على تدميره، وفي هذا الصدد يقول الحاكم الفرنسي العام للجزائر "تيرمان Tirman" في عام 1886 "لا يزال يتضح لنا من الاختبار أن الذين نعلمهم التعليم الراقي هم الذين يبدون لنا الكثير من العداوة"[1]

وصف أحمد توفيق المدني حالة التعليم عند الجزائريين "بالشجرة الكبيرة التي ذبلت أعضائها وتناثرت أوراقها من شدة الظمأ واشتاقت إلى قطرة الماء التي هي أملها الوحيد في الحياة تلك هي أمة الجزائر، وذلك هو اشتياقها للتعليم".[2]

بحث المدني عن حلول كفيلة لمعالجة الوضع من ذلك تعميم التعليم والتركيز على اللغة العربية مع الإتقان في مجال الصناعة، إجبارية تعليم اللغة العربية ونشرها في أنحاء القطر عن طريق إنشاء مدارس خصوصية أو على الأقل كثرة مزاولتها بالمدارس الأهلية، وإحياء العلوم ونشرها بين كافة طبقات الشغب.[3]

وعن المخصصات المالية لتعليم الأهالي فقد كانت ضعيفة، فالميزانية المرصودة للأهالي، سنة 1938 لم تتجاوز ربع $(1/4)$ ما هو مخصص لتعليم الأوروبيين، ومن هنا تتضح سياسة التعليم من خلال معطيات الجدولين المعروضين المتعلقين بالتعليم الثانوي والجامعي.[4]

[1] رابح تركي، التعليم القومي، ص 142.

[2] كتاب الجزائر، ص 293.

[3] هادية صيود، أحمد توفيق المدني الوسيط ، ص 152 .

[4] رابح تركي، التعليم القومي، 148.

- عدد الجزائريين الأوروبيين في التعليم الثانوي:

السنوات	عدد التلاميذ الجزائريين		عدد التلاميذ الأوروبيين		المجموع	
	الذكور	الإناث	الذكور	الإناث	عدد الجزائريين	عدد الأوروبيين
1920م	405	40	4346	1764	445	6110
1924م	535	60	4860	1814	595	6674
1928م	642	48	4587	1833	690	6420
1934م	778	85	7316	3533	863	10849
1938م	923	68	8952	4277	991	13229

- عدد الجزائريين والأوروبيين في التعليم الجامعي:

السنوات	الأوروبيين	الجزائريون
1920م	1282	47
1925م	1486	66
1930م	1907	93
1934م	2564	103
1938م	2138	94

مما لاشك فيه أن هذه النسبة التي يمثلها الجزائريون في المرحلتين الثانوي والجامعي كما يتضح من الجدولين السابقين تؤكد قلى عددهم مع ارتقائنا في السلم التعليمي، وقدم أحمد توفيق المدني صورة بليغة للوضع عندما قال: "تعليم المسلمين وهو يسير الهوينا مشية

الأعرج الهرم، فتجد البوادي والقرى والمدن عامرة بآلاف الأطفال الذين يذهبون كل غرة أكتوبر إلى المدارس فلا يجدون بها مقاعدهم".[1]

وفي الفترة الممتدة من 1951م/ 1954م قررت ميزانية لجنة التعليم إجراء زيادات مالية في الميزانية الجديدة لصالح التعليم ومحاربة الأمية التي انتشرت بشكل كبير بين الشباب، الأمر الذي جعل "المدني" يتساءل عن عدم اتخاذ قرارات بخصوص ذلك: تعليم عربي، وبناء مدارس مجانية وتجاهل ماله علاقة باللغة العربية والهوية الجزائرية، وفي نفس؟ يستجيب لفكرة الثقافة الفرنسية التي تنميها فرنسا لجيل جديد متأثر بكل ما هو فرنسي.[2]

ومن بين القرارات الأخرى التي اتخذتها لجنة التعليم، والتي كانت من اقتراح "تاباتي"، "الأخضري"، "ششوف"، أنها تهدف إلى دعم الطلاب الجزائريين المنخرطين في سلك الزيتونة والقيروان، بمبلغ من الميزانية يمكنهم من إتمام دراستهم ومواصلة دروسهم في المعهدين، ويقول المدني في هذا الشأن: «أن الميزانية التي اتسعت بالأمس لكل شيء يريده الاستعمار منها، قد آن لها أن تتسع اليوم لغير ذلك من مشاريع التعليم داخل القطر الجزائري وخارجه».[3]

وفي ظل الصراع بين أنصار المدارس اللائكية والمدارس الحرة في الجزائر ظل التعليم العربي بعيدا عن أي تطورات لأن النواب الجزائريين في البرلمان كانوا ينددون بتمويل المداري الحرة، التي تدعمها الجمعيات المسيحية لأن رجال هذه الأخيرة يطلبون الحكومة بإنصافه وتشجيعه ماديا، مدام يؤدي المهمة التي يؤديها التعليم اللائكي.[4]

ومع كل هذه القرارات التي اتبعتها الإدارة الفرنسية تجاه التعليم العربي، لم تنجح كثيرا لأن في سنة 1930م تحصل "ابن باديس" على الاعتماد لتأسيس جمعيته "جمعية التربية

---

[1] كتاب الجزائر، ص 294.

[2] أبو محمد، في الشمال الإفريقي، البصائر، 146، 12 مارس 1951، ص 06.

[3] أبو محمد، في الشمال الإفريقي، البصائر، 147، 19 مارس 1951، ص 06.

[4] أبو محمد، في الشمال الإفريقي، إعانة التعليم الحر، البصائر، 167، 13 أوت 1951، ص 06.

والتعليم الإسلامية" المقصود منها نشر الأخلاق الفاضلة والمعارف العربية الفرنسية، وبذلك بدأت المدارس العربية لتعليم الصغار تنتشر في الجزائر إلا أنها كانت تتعرض للغلق في بعض المناطق بالرغم من كونها مرخصة، كما كان برنامجها يشبه نظام المدارس الفرنسية غير أن التدريس فيها كان بالعربية، وكانت الدراسة فيها ست سنوات يتحصل التلميذ فيها على الشهادة الابتدائية.[1]

كان لأحمد توفيق المدني موقف إيجابي من التعليم وهو رفع المستوى الفكري والعلمي والدفاع عن الحرية الكتاب والمفكرين، ومحاربة سياسة فرنسا في نشر الخرافة وتجهيل الشعب.

2- الدين الإسلامي:

يعتبر الدين الإسلامي مكونا رئيسيا من مكونات الشخصية الوطنية، حاولت فرنسا القضاء عليه تمهيدا للقضاء على الشخصية الجزائرية وذلك عن طريق:

1- القضاء على الإسلام ونشر المسيحية في الجزائر.

2- الاستيلاء على الأوقاف الإسلامية.

3- تحويل المساجد الإسلامية إلى كنائس للمسيحيين.

4- فصل الدين عن الدولة.

5- فصل المناطق التي يسكنها الأمازيغ ومحاولة تنصيرهم ومنع رجال جمعية العلماء من التدريس لهم.[2]

لقد كان في الجزائر إدارة تابعة لفرنسا تدعى إدارة الأديان تقوم بنفقات رجال الدين، إذا كانت تنفق على الدين المسيحي وأفراده 884000 فرنك، وعلى الدين الإسرائيلي 31000

[1] مصطفى الهشماوي، حالة العربية أثناء فترة الاحتلال أو التعليم العربي في الجزائر في القرن 19 وأوائل القرن 20، مجلة اللغة العربية- العدد الممتاز، ص 291.

[2] رابح تركي، التعليم القومي، ص 191- 192.

فرنك، وعلى الدين الإسلامي 37000 فرنك، فيقول المدني "إذا قسمنا ذلك على رؤوس الأفراد ناب كل كاثوليكي من ميزانية الأديان 30 وكل بروتستاني 8 فرنكات وكل إسرائيلي 50 سنتيما وكل مسلم 7 سنتيمات ونصف"[1]

كانت الضربة الأولى التي وجهها الاستعمار في الجزائر بعد تفويض أسس الدولة الجزائرية، هي تلك الضربة التي وجهتها الأوقاف الإسلامية لممتلكات الدولة الفرنسية عام 1830، ويقول المدني: "أصبحت المساجد الإسلامية من ممتلكات الدولة الفرنسية الخاصة، تفعل بها ما تشاء، فهدمت منها على هذه القاعدة ما هدمت، ثم هي تسمح للمسلمين، بإقامة شعائر دينهم في البقية الباقية منها، إنما لا يفع ذلك ... إلا بواسطة موظفيها ورجالها".[2]

وقد كانت الجزائر من أغنى البلاد الإسلامية بالأوقاف، وكان في مدينة الجزائر وحدها، ثمانية آلاف عقار لم يبق منها بعد الاحتلال ولا عقار واحد، والسبب في استيلاء الاحتلال على المساجد الإسلامية ومصادرة الأوقاف الدينية، وهو أن الاستعمار الفرنسي في الجزائر صليبي النزعة، عمل على محو الأمية، لأنه الدين السماوي الذي فيه من القوة ما يستطيع به أنه يسود العالم.[3]

بدأت الحكومة الفرنسية في دفع إعانات سنوية للجمعيات الدينية مقابل مصادرتها للأوقاف الإسلامية، والتي كانت كافية لإدارة جميع المساجد والمعاهد الدينية في البلاد يقول المدني "معظم الجمعيات الدينية في الدولة لا تستحق تسمية الجمعيات إلا بتسامح كبير".[4]

طالب جميع المسلمين، بقيادة علماء المسلمين الجزائريين، بتنفيذ نفس القوانين الفرنسية، مثل قانون 1905، الذي يقضي بفصل الدين عن الدولة، وعلى كل طائفة دينية أن تتولى شؤون دينها، بشكل مستقل. إلا أن الاستعمار الفرنسي رفض ذلك رغم كل القوانين والوعود

---

[1] المدني، كتاب الجزائر، ص 373.

[2] المدني، هذه هي الجزائر، ، ص 147.

[3] رابح تركي، التعليم القومي، ص 328.

[4] كتاب الجزائر، ص 374.

إعادة الدين الإسلامي بمساجده وأوقافه وموظفيه إلى الجالية المسلمة، حتى اضطر المسلمون إلى مقاطعة مساجد الحكومة الفرنسية و بدأوا في التأسيس لأنفسهم، مساجد مجانية تصل تكلفة بعضها إلى 50 مليون فرنك.

قاومت جمعية العلماء لأهداف الاحتلال الفرنسي ضد الإسلام من خلال انتشائها مدارس، ومساجد لنشر التعليم العربي الديني، وبعث الثقافة العربية الإسلامية، لأن الفرنسيين كانوا يعتقدون أن القرآن هو سبب السخط الشعبي عليهم بل إن أحد النواب الفرنسيين أكد في البرلمان أن القرآن الكريم هو الذي يحرض المسلمين على أذية الفرنسيين ومن هنا قرروا القضاء على القرآن والدين الذي جاء به.[1]

قسمت الإدارة الفرنسية بلاد الجزائر إلى 95 منطقة دينية، فيها 166 مسجدا أو زاوية، ويعتبر المفتي رئيس المنطقة، والدولة تسمى على يد الجمعيات الدينية كل رجال الدين يقومون بالعمل في تلك المساجد والزوايا.[2]

يرى المدني بأن الأمة والحكومة بحاجة إلى تأسيس مجلس إسلامي أعلى تكون مهمته الإشراف على الحالة الدينية الإسلامية في كل قطر الجزائر ومراقبة الجمعيات الدينية، ينتخب هذا المجلس رجال الجمعيات الدينية والأعضاء العاملون في جمعيات العلماء المسلمين وتصادق الحكومة عليه تصير مهمته رسمية قانونية.[3]

[1] محمد الميلي، ابن باديس وعروبة الجزائر، دار الثقافة، بيروت، 1973، ص 40.

[2] كتاب الجزائر، ص 375.

[3] كتاب الجزائر ، ص 375.

الفصل الثالث:

توفيق المدني: دفاع مستميت عن الهوية الوطنية عبر تدوين تاريخ الجزائر

تمهيد:

عرفت فترة القرن العشرين ظهور بعض الكتابات التاريخية التي تناولت التاريخ الوطني الجزائري، تزعم هذه الحركة نخبة من المفكرين والمصلحين الجزائريين أمثال :محمد مبارك الميلي،عبد الرحمان الجيلالي، أحمد توفيق المدني وغيرهم ممن ساهموا في كتابة تاريخ البلاد ، بهدف إحياء التاريخ الوطني الذي حاولت السلطات الفرنسية طمسه والقضاء عليه، ما دفع بالمدني في هذه الفترة وضع عدد من المؤلفات التاريخية، ردا على الدعايات الفرنسية، لكن لم تسلم هذه الكتابات من الانتقادات من طرف بعض الباحثين.

يعد أحمد توفيق المدني واحدا من المصلحين الجزائريين الذين تصدوا للكتابة التاريخية في فترة حرجة من التاريخ الوطني، واستطاع أن يؤلف أعمال تاريخية تصدرت في أغلبها النشاطين الآخرين للحركة الإصلاحية.

I- التاريخ والهوية:

استند المؤرخون الفرنسيون في كتاباتهم إلى تاريخ الجزائر على ثلاث حقائق: أنهم تغلبوا على الجزائر بالقوة، وأنهم شعب متحضر يحكم شعبا متخلفا، وأنهم مسيحيون استولوا على مقاليد شعب مسلم، بحيث حددت هذه المقدماتالأهداف والاتجاهات من هذا النوع من الدراسات التاريخية، التي انطلق عليها الاستعمار، والتي هدفت إلى إضعاف الوعي الوطني في الماضي، وإبعاد الشباب عن الافتخار بأحداثها، والتأثر بمآثرها، والالتزام بها.[1]

ومن بين المؤرخون الذين حاولوا تثبيت تلك النظرة السلبية الموروثة عن المدرسة الاستعمارية مطلع الثلاثينات من القرن الماضي، نجد مبارك الميلي وأحمد توفيق المدني أكثر إنتاجية، وكانت كتاباتهم مبنية على ما كتبه الاستعمار و الظلم الذي مارسه بحق الجزائريين، وكان الغرض من كتاباتهم ليس علميابحتا، بل كان من وسائل النضال ضد الاستعمار ومواجهة سياسة التشويه والاضطراب، من قبل الاستعمار.[2]

الجدير بالذكر أن أحمد توفيق المدني لم يكن كاتب مقالات فقط، بل كان كاتبا ذا روح طويلة يتعامل مع المزيد من الموضوعات التاريخية أو الجغرافية ، وهذا التنوع يلقي الضوء على ظاهرة مهمة جدا في النهضة الأدبية والثقافية المعاصرة في الجزائر.[3]

سعى المدني من خلال كتاباته إلى الإرشاد السياسي للشباب وإثارةحب الوطن فيهم، كما حاول أثناء كتابته تحديد الهوية العربية وإظهار شخصية البلدان المغاربية المكونة من البربر والعرب، وإبراز علاقتهما بالشرق بالماضي والحاضر، و شعاره في الكتابة الإسلام هو ديني

[1] أبو القاسم سعد الله، منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر، الأصالة، 14- 15 (1973)، ص 9- 10.

[2] محمد بوشنافي، الكتابة التاريخية في الجزائر العهد العثماني نموذجا، عصور الجديدة، 3-4 (2011- 2012)، ص 148- 149.

[3] عبد المالك مرتاض، نهضة الأدب العربي، ص 207.

والعربية هي لغتي ،الجزائر وطني، وهو الشعار الذي صار على لسان التيار الإصلاحي ولا ندري من قاله أولا.[1]

عرف المدني التاريخ بأنه العرض والتحليل والحكمة، كما عرفه بأنه "حاكم نزيه يتمتع بضمير حر ، يدرس الوثائق ويستخلص الحقائق من النصوص ويسمع ما يقوله هؤلاء بعناية، ثم ينظر إلى الظروف ويدرس المحيط، فعندما يتضح وجه الحقيقة أمامه، يصدر حكما عادلا، بغير عاطفة ولا نفاق ولا محاباة.[2]

و كتب المدني أيضا أن التاريخ ليس شيء بارداوبعيدا فيالماضي، بل هو جزء من وجوده يرتجفمن الحرارة والفورية، ويجب على المؤلف على الأقل أن يلتزم بالموضوعية في رحلته عبر النصوص والوثائق والظروف الشخصية والسياسية والاجتماعية لموضوعه ،كما يرى أن هناك بعض الظواهر التي تتطلب دراسة العصر الكل لفهم هذه الظاهرة.[3]

الحقيقة أن أحمد توفيق المدني يتميز بثقافة عالية جدا ومتفتح على الثقافة العالمية، حيث قامبتحرير العديد من المؤلفات القيمة التي فتحت آفاقا واسعة وشكلت قطيعة كاملة بالنسبة للمنشورات التقليدية في مجال تاريخ الجزائر والمغرب العربي.[4]

واعترافا بدوره الهام، كتب عبد المالك مرتاض منوها يقول: "«يجب أن يعده التاريخ أحد المؤرخين الجزائريين الذي قامت على أكتافهم النهضة التاريخية في وطننا خلال فترة عصيبة، فلم يكد يغتر عن البحث في القضايا التاريخية التي تتصل بالشعب الجزائري، منذ

[1]أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 420/7.

[2]أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792، ص 8.

[3]أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار البصائر، الجزائر 2007، 347/1- 348.

[4]الجيلالي صاري، محفوظ قداش، الجزائر في التاريخ: المقاومة السياسية 1900- 1954 الطريق الإصلاحي والطريق الثوري، ترجمة: عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1987، ص 245.

أن بدأ هذه البحوث سنة 1925 ... إن فضل المدني على التاريخ الوطني الجزائري إذن لعظيم»".[1]

في حين يشير صالح علواني إلى أننا إذا بدأنا من تعريف "مارك بلوخ" للمؤرخ الذي ذكره "جاك لوغوف"، عندما قدم كتابا بعنوان "دفاعا عن التاريخ"، يقول أنه يجب علينا حينئذ، من أجل كتابة التاريخ جيدا وإعلام وتجعله جذابا، لا تنس أنه بالإضافة إلى الضرورات، فإنه يتمتع بمتعة جمالية خاصة، أنه إلى جانب الدقة اللازمة المرتبطة بالتعمق في الآليات التاريخية والبحث فيها، هناك أيضا متعة في فهم الأشياء الفردية، لدينا خيار سوى تصنيف المدني في فئة المؤرخين، حتى باعتماد المعايير الحديثة، والنصيحة التي قدمها "مارك بلوخ" والتي تبدو حتى يومنا هذا في المكان المناسب، تقول: "فلنحذر أن ننزع عن العلم التاريخي جانبه الشعري".[2]

يعتبر التاريخ المشترك أحد عناصر الهوية الجماعية حيث يمثل وعي وشعور الأمة، بحيث لا تتحد هذه الأخير إلا بتاريخها المشترك، لأن الذكريات التاريخية تقرب النفوس وهناك نوع من الأخلاق والشعور،القرابة بينهم ، وبالتالي فإن الذي من يشترك في الماضي ويعتز به هم أبناء أمة واحدة.[3]

وشرح المدني معنى التاريخ من وجهة نظره، والقاعدة التي بني منها تاريخه، والهدف الذي يسعى إليه، فالتاريخ لا شيء سوى العرض والتحليل والاستدلال والحكم، بمعنى أنه يرفض أن يكون التاريخ مجرد سرد للوقائع وحده دون تفكير وتمحيص وتحليل.[4]

---

[1] عبد المالك مرتاض، نهضة الأدب، ص 219.

[2] صالح علواني، قراءة في كتاب "هذه الجزائر" للمناضل الجزائري والمؤرخ الثائر أحمد توفيق المدني، 02، مجلة الموروث، (2013م)، ص 56- 57.

[3] رياض بودلاعة، الهوية الوطنية في خطاب رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين "أحمد توفيق المدني 1899-1983 أنموذجا"، مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطية، 1 (2023)، ص 230.

[4] مولود عويمر، مسألة التاريخ عند الأستاذ أحمد توفيق المدني (1899- 1983)، مجلة الدراسات التاريخية، 1 (2008)، ص 100.

وطالب المؤرخ بالالتزام بالموضوعية في العلاج، وأن تكون كتاباته تعبيرا صادقا عن مشاعره القائمة على الإيمان والقناعة في مجريات الأحداث، ولا يعتبر راويا أو مؤرخا، ولقد أصدر المدني كتبا قيمة فتحت أبواب واسعة ، شملت جوانب مختلفة تتعلق بتاريخ الجزائر والمغرب العربي،[1] من خلال كتبه قرطاجنة في أربعة عصور تاريخ شمال إفريقيا قبل الإسلام، وكتاب الجزائر، ومحمد عثمان باشا داي الجزائر وخلاصة تاريخ الجزائر العثمانية.[2]

[1]عبد القادر خليفي، الكتابة التاريخية وبعث الوطنية الجزائرية في ظل الحقبة الكولونيالية دراسة نماذج من إسهامات أحمد توفيق المدني خلال الفترة 1931- 1950م، ص 06.

[2]محمد بوطيبي، بواكير كتابة تاريخ الجزائر خلال النصف الأول من القرن العشرين (كتابات أحمد توفيق المدني أنموذجا)، مجلة تاريخ العلوم، 13 (2020)،ص 201.

II- جهود المدني في تدوين تاريخ الجزائر:

كانت الكتابات العربية لتاريخ الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي نادرة بسبب قيود الإدارة الفرنسية ومع زيادة حركة الإصلاح الديني والاجتماعي ، أثار بعض أمفكري وشيوخ الجمعية التحدي، للدفاع عن الوطن ضد كتابات المؤرخين الفرنسيين ومقالات الصحفيين المنحازين،الذين حاولوا محو هوية الشعب الجزائري.

وفيغضون ذلك،ظهرت مجموعة من العلماء الذين وضعوا أسس المدرسة التاريخية الجزائرية، ولعل أبرزهم أحمد توفيق المدني.[1]

"لم تكن فكرة الوطنية والاستقلال غائبة في كتابات المدني، رغم نشاطه الثقافي ، حتى لو تم تمويهها أحيانا، خوفا من الاستبداد من قبل السلطات الفرنسية له أو من قبل هيئة علماء المسلمين أو الصحف التابعة لها. من يسير في طريقه يرى أن فكرة حب الوطن كانت بالنسبة له سابقة على عمره بكثير، وتحدث عنها وهو في العاشرة من عمره عندما كان في مدرسة خاصة بتونس، وبعد ذلك الكفاح في تونس أكسبه الحزب الدستوري الحر القوة السياسية اللازمة في الدفاع عن الأفكار الليبرالية في الجزائر، حيث لم يدخر جهدا بعد العودة إلى الجزائر في مواجهة الاستعمار الفرنسي وكان ينظر إليه على أنه عدو لدود للشعبين الجزائري والتونسي، و بذل جهودا كبيرة للنهوض بمطالب الحركة الوطنية سواء في تونس أو الجزائر، حيث مثل شخصية محارب المغرب العربي ساهم بكل أشكاله وطرقه في سبيل القيم الوطنية " .[2]

استغل المدني في كتاباته التاريخية الفرصة للتعبير عن رأيه في التاريخ الوطني، حتى في الكتب التي بدت بعيدة عن موضوع الجزائر بعناوينها، لأن أطروحته الأساسية كانت

[1] عبد الغني متشاط، جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تدوين تاريخ الجزائر "مبارك الميلي وأحمد توفيق المدني أنموذجا"، مجلة دراسات في التنمية والمجتمع، 02 (2022)، ص28.

[2] مداني واضح، أحمد توفيق المدني بين مشروع النهضة الثقافية والقضية الوطنية في الجزائر 1925- 1954، مجلة تاريخ المغرب العربي، 01 (2022)، ص 16.

التوجيه السياسي للشباب والنهضة في البلاد لهم، والدعوة إلى التحرر من الاستعمار من خلال إدانة الاستعمار الروماني القديم وإظهار شخصيته في البلدان المغاربية المختلطة البربرمع العرب، يبرزون علاقاتهم مع الشرق في الماضي والحاضر، تتكرر هذه الأطروحة في معظم كتابات المدني، حيث كان شعاره هو "الإسلام ديني، العربية لغتي، والجزائر وطني"، وهو الشعار الذي أصبح على لسان حركة الإصلاح.[1]

حيث سوف نقوم بتقسيم إسهاماته التاريخية إلا أبعاد، بعد وطني وهي الكتابات التي كتب فيها على تاريخ الجزائر من أقدم العصور إلى غاية 1930، أم البعد الثاني فهو بعد قاري مغاربي.

*** الكتابات ذات بعد وطني:**

كتاب الجزائر:

عدد صفحاته 511 صفحة، اشتمل هذا الكتاب على مقدمة وعرض وخاتمة، بالإضافة إلى الفهرس العام للكتاب، والملاحق، وقد توزع الكتاب على أربعة عشر قسما بعناوينها حيث أكد أحمد توفيق المدني في مقدمة الكتاب أنه يقدمه للشباب المسلم الجزائري حتى يعرف وطنه، قائلا: "فهو وطن ماجد، تاريخه نبيل، ورجاله أبطال، وأرضه صالحة، ولكن تكون لمعرفتك إياه من نتيجة إلا إقبالك على خدمته الخدمة المثلى ... وتذكر ولا تنسى أن الجزائر لا تسعد إلا إذا عملت في دائرة دينها ولغتها وقوميتها".[2]

ظهر سنة 1932 وهو عمل تاريخي سياسيووطني جاء استجابة لاحتفالات فرنسا المئوية التي استخرجت الجروح وجرح المشاعر، فكان معارضة مريحة لما زورته الأقلام

[1] رياض بودلاعة، الهوية الوطنية، ص231.

[2] المدني، كتاب الجزائر، ص3-4

الفرنسية في التاريخ الجزائري، ومن خلاله عزز توفيق المدني حب الوطن الجزائري، وأحيا روح الهوية على أساس المبادئ الثلاثة: الإسلام دين، العربية لغة، الجزائر كوطن.[1]

وقد كتب عنه أبو القاسم سعد الله إذ يعتقد أن كتاب الجزائر يشبه إلى حد بعير كتاب المرآة لحمدان خوجة، و ظهر المؤلف من خلال هذا الكتاب، وأنه من دعاة التجديد عندما تحدث عن التعليم والمرأة، الصحافة، والشباب، ودعا إلى تكوين المدارس والتخرج في المهن.[2]

ولعل القيمة التاريخية والحضارية والتجديدية للكتاب، هي ماجعل الشيخ عبد الحميد بن باديس يكتب: أن كتاب الجزائر هو ثمرة ذلك الفكر الفائض، وتأثير تلك الروح القوية ... التي ميزته في صنع تلك المادة العظيمة، والجهد الأدبي في استكماله لتلك الخريطة التي تعد أول خريطة لبلد الجزائر.[3]

*** حول البعد القاري:**

كتاب قرطاجنة في أربعة عصور من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي:

اشتمل هذا الكتاب في البداية على كلمة على كلمة للناشر ومستهل، إضافة إلى مقدمة عرض وخاتمة، وفهرس للمواضيع، والملاحظ هنا هو عدم وجود فهارس أخرى أو قائمة للمصادر والمراجع، وأرفق المؤلف هذا الكتاب ببعض الملاحق المتعلقة بالموضوع في المتن، وتم تقسيمه إلى أربعة أقسام ولكل قسم عنوان ضمن مجموعة من العناصر.

---

[1] أمال معوشي، أحمد توفيق المدني "لمحة عن إسهاماته الثقافية ودوره الدبلوماسي في الثورة الجزائرية"، مجلة البحوث التاريخية، 01، (2019)، ص 203.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي في 1830- 1954، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1995، ص 422-423.

[3] عبد الحميد بن باديس، كتاب الجزائر كذلك وبمثل ذلك يؤدي الواجب أيها الواجب الناشئ، الشهاب، مارس 1932، 3/ ص 156- 159.

وما دفع المدني لكتابة هذا الكتاب، هو صمود البربر في مواجهة الاحتلال الغربي، حيث وصف الاستعمار الروماني بأنه مرض مدمر حكم على الشعب بالذل والإذلال وحكم على الأمة بالخضوع والاستسلام.[1]

وبشأن دوافع تأليف الكتاب أوضح المدني أنهكان رد الإدارة على بعض قيادات التيار الإصلاحي، أمثال عبد الحميد بن باديس والإبراهيمي والميلي خلال شهر جوان 1925م، حيث سئللرد على الادعاءات الاستعمارية التي تؤسس لمفهوم أن أصل بلاد المغرب لاتيني ورماني، وهذا ما فعله "لوي برتران" عضو المجمع العلمي الفرنسي في ذلك الوقت.[2]

ويرى الباحث فارس كعوان أن هذا الكتاب ملأ فراغا في التاريخ القديم لشمال إفريقيا بسبب قلة الكتابات باللغة العربية حول هذا الجانب.[3]

حيث تضمن الكتاب تاريخ منطقة شمال إفريقيا من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي، قسمه إلى مقدمة، ثم مدخل عرف فيه بأصول البربر وعاداتهم ثم جاءت الفصول الأربعة "دولة قرطاجنة، قرطاجنة الرومانية، قرطاجنة الوندال، قرطاجنة البيزنطية" وقد نوه فيه كثيرا ببطولات القادة النوميديين.[4]

وعلى الرغم من المجهود الكبير الذي بذله المدني في كتابه إلا أن هناك بعض الثغرات فيه ، فالفترة الزمنية التي تناولها طويلة جدا، ولا يمكن لتأليف لا يزيد عن 157 صفحة، لا يغطيجميع جوانب الموضوع المدروس، تماما كما ركز كتابه بشكل خاص على الأحداث السياسية والعسكرية، ولم يشكل الجانب الحضاري ليس سوى جزء محدود من كتابه.[5]

---

[1]محمد غالم، براديغما المقاومة في الخطاب التاريخي الإصلاحي: "أحمد توفيق المدني نموذجا"، مجلة عصور الجديدة، 3-4(2011- 2012)، ص 197.

[2]أحمد توفيق المدني، مبارك الميلي مؤرخ الجزائر، البصائر، 26، 8 مارس 1948، ص 04.

[3]فارس كعوان، المؤرخون الجزائريون ونمو الوعي التاريخي، 1830- 1962، مساهمة في التاريخ الثقافي والفكري، رسالة دكتوراه، جامعة منتوري، قسنطينة 2011- 2012، ص 359.

[4]أحمد توفيق المدني، قرطاجنة في أربعة عصور، المؤسسة الوطنية الكتاب، الجزائر، 1986، ص 13،23، 79.

[5]فارس كعوان، المؤرخون الجزائريون، ص 360.

III- أعمال أحمد توفيق المدني في ميزان المعاصرين:

عند الحديث عن أحمد توفيق المدني، سواء في جهاده كتاباته، ينقسم المعنيون بموضوعه إلى قسمين: القسم الأول يثني على جهاده الفكري، ويضعه في مرتبة عالية مع مشاهير الوطن العربي، أما الثاني: إذا تحدث عنه يقلل من شأنه ويتحداه ويصفه بأنه لا يتفق مع حياته التي قضاها في خدمة الجزائر والعروبة والإسلام.

1- المؤيدين لأعمال أحمد توفيق المدني:

في ظل الظروف الاستعمارية نجد أن صفحات "توفيق المدني" كان لها صدى في الداخل والخارج، لذلك ذكر في كتابه "الجزائر" ليحتفظ ب 533 رسالة معظمها من البلاد الجزائرية، وهي تكريم للجزائر، ومن خلال تصفح الكتب المختلفة، وجدت العديد من الاقتراضات، فقد قال "شار روبير آجرون"[1]: «منذ سنة 1931م، تأسست جمعية العلماء الإصلاحية، من بينهم مبارك الميلي وتوفيق المدني، وهما أول من ألفا في التاريخ الوطني الجزائري بالعربية، فكتاب التاريخ الذي ألفه المدني 1931م، كان يحمل فوق غلافه شعار جمعية العلماء: الإسلام ديننا، الجزائر وطننا، العربية لغتنا».

ووصفه مؤلفه المدني بالقول:[2] «هذا كتاب الجزائر ... وأنه لصورة حقيقية لقطر الجزائر السعيد، لم ترسمها ريشة مصور ... إنما رسمها قلم باحث جعل همه ذكر الحقائق كما هي».

ويختتم أحد الباحثين في تقييمه بالتأكيد على أن الكتاب تناول مؤلفه ملخصا لتاريخ الجزائر وعرض الوضع السياسي والاجتماعي، والاقتصادي والثقافي بنظرة مفتوحة تبحث عن حلول، وقدم معلومات خاصة وعامة، وأنه كان مدركا جدا لواقع الشعب الجزائري وسياسة الإدارة الفرنسية، فكانت أخباره نتيجة ثقافته الشخصية ومعرفته الخاصة، والتي

[1] بلقاسم ميسوم، كتاب الجزائر لأحمد توفيق المدني، دراسة تحليلية نقدية، ص 214.

[2] أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر،ص 399.

استقى بعضها من الإحصائيات الرسمية، حيث أبدى المدني عن مواقفه من الأوضاع، وأبدى رأيه في القضايا المطروحة.[1]

يعتبر هذا الكتاب فريدا خلال فترة الدراسة، حيث لم يسبق لأحد الكتاب الجزائريين أن يسبق المدني لهذا الموضوع، لذلك اختلط توفيق المدني بالتاريخ والوطنية والحضارة والإدارة، وكل ما يتعلق بحياة الشعب الجزائري، فكتاب الجزائر من حيث الأفكار التي تطرق إليهايلخص فكرة المدني عن الإصلاح، ورأيه في المجتمع، وفي هذا الصدد قال "مولود قاسم نايت بلقاسم"[2]: «لو لم يكن للأستاذ أحمد توفيق المدني إلا هذا الكتاب لكان يكفيه».

أما بالنسبة لكتاب "محمد عثمان باشا" صدر سنة 1937، و يتحدث عنأطول أيام الحكم ، فقد كان أول كتاب يكشف حقيقة الوجود العثماني التركي في هذا البلد، وكان مفاجأة للناس ومنارة للباحثين، وضربة قاسية في وجه الاستعمار.[3]

وبعد صدور الكتاب صدقه الإمام "عبد الحميد بن باديس"، وأثنى على مؤلفه في ركن ثمار العقول والمطابع بمجلة الشهاب، ودعا ابن باديس الشباب المسلم إلى قراءته قائلا[4]: «أنه يتحتم على كل مسلم جزائري أن يقرأ هذا الكتاب، وإنك – وإذا أختمته أيها المسلم الجزائري – لا بد أن تخرج من تحب من يجب أن تحب، وتبغض من يجب أن تبغض».

من ناحية أخرى أشاد الباحث "محمد قنانش"، بهذا الإنتاج العلمي، مؤكدا أن كتاب "محمد عثمان باشا" ظهر وهو يحمل بين أغلفتيه تلك الصفحة النقية من عهد الأتراك في الجزائر، التي كان يلاحقها الأوغاد، ويصورها بشكل لا يعدو أن يكون بما يتناسب فقط مع

[1] بلقاسم ميسوم، كتاب الجزائر لأحمد توفيق، ص 216– 221.

[2] المرجع نفسه، ص 227– 228.

[3] أحمد توفيق المدني، مذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1974، ص 6.

[4] عبد الحميد بن باديس، "محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766– 1791"، الشهاب، سبتمبر 1937، 7/ ص 321.

العصور الوسطى في أوروبا، الأمر الذي جعل المدني يدحض كل الاتهامات الموجهة لهذه الفترة في تاريخ الجزائر.[1]

ونشير أيضا إلى كتاب "جغرافية القطر الجزائري" طبع سنة 1948، الذي لقي تنويها وتفريطا من العديد من الدارسين، من ذلك ما كتبه المؤرخ "عبد الرحمان الجيلالي"[2]: «حاز به فضل السبق، فيه دراسة مفصلة لفرع آخر من فروع العلم والمعرفة، ... يتصل بأعماق مشاعر سكان المغرب بصفة عامة، وسكان المغرب الأوسط مفهم بالخصوص... فقد أفاد به النشء الجزائري بالمدرسة العربية ... فلولا المدني ما عرف قراء العربية... وضعية بلادهم...».

"وتقديرا لهذا الإنجاز الذي وصف بأنه قطع من الرياض، نظم الشاعر "أحمد سحنون" أبياتا بعنوان: "توفيق أعطيت توفيقا"، نشرت بالبصائر، جاء فيها:

(توفيق) أعطيت توفيقا وتسديدا فاكتب وجدد عمود الضاد تجديدا

منحت موهبة التاريخ فأجب به أمجاد قومك إحياء وتخليد".[3]

أما كتاب "حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا"، فقد رأى عبد المالك مرتاض أن توفيق المدني ينبغياعتباره من الطبقة العليا من المؤرخين الجزائريين من خلال كتابه "حرب الثلاثمائة سنة"، إذ يثبت في عرضه قدرة الرجل على عرض الأحداث التاريخية، وعدمانتقاءها، والذي لا يمكن القيام به إلا من قبل أولئك الذين لديهم معرفة تاريخية واسعة النطاق.[4]

[1] عبد القادر خليفي، الكتابات التاريخية، ص 13.

[2] عبد القادر خليفي، أحمد توفيق المدني ودوره، ص 115.

[3] المرجع نفسه، ص 115- 116.

[4] عبد القادر خليفي، أحمد توفيق المدني ودوره، ص 117.

كما نجد أقوال بعض الشخصيات البارزة التي أعطت رأيها، بداية مع قول "مبارك بن محمد الميلي"[1]: «إني أشكركم شكر معترف بفضلكم على الوطن والعربية، ... بنشاطكم في خدمتها وتنشيطكم في ذلك ... فإنني لم أجد معينا ولا منشطا غيرك، فكن واسع الصدر إذا كلفتك بما لا تطيق».

ونجد كذلك قول "محمد الصادق عيسات"[2]: «سيدي أن ما كنت أحس به في جنابكم المحترم من القدسية الإسلامية والنخوة العربية والمعارف الواسعة، والإحسان الجم، وإن الذكريات التي تهز من الوجدان، وتحرك من الشعور، يذكر أيام الجهاد المتواصل تحت راية العروبة والإسلام والوطنية الحقة الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه من أساتذتنا».

كما نعرج لقول العلامة "محمد الفاضل ابن عاشور"[3]: «سيدي وأخي وأستاذي حقا، ومصدر فخري وصدقا أدام العز بسلامة البهجة بعافية، ... والفائدة بغزير علمه وشريف محاضرته، كما استشعرت من اعتزاز بحظيكم مقامكم، وما اكتنزت من علمكم وأدبكم».

2- المنتقدين لأعماله:

وكأي عمل لا يخلو من الانتقاد فقد تعرضت مؤلفات أحمد توفيق المدني لذلك:

بداية بكتاب "الجزائر"، لم يعد يخلو من العيوب والأخطاء التاريخية، عندما سجل البلدان التي مرت بالجزائر، لم يذكر الدولة الحفصية وهي إحدى الدول الإسلامية التي بسطت سلطتها الفعلية على النصف الشرقي من الجزائر، وقهرت ملوك الدولة الزيانية التي حكمت الغرب مرارا وتكرارانصف نفوذها، وبأن هذا البلدكان تحت حمايته وحكمه، كان من المفترض أن يخصص له جزء في كتاب الجزائر، و أطلق اسم "الدولة"على بعض الحكومات

[1] أحمد توفيق المدني، رد أديب، ص 164.

[2] المصدر نفسه، ص 173.

[3] المصدر نفسه، ص 176.

الإسلامية كدولة بني حماد مسيلة، بينما تم إعطاءاسم الإدارة للآخرين كإدارة الأغلبية والفاطمية، في ذلك تقليل من شأن الأخيروالاستخفاف به.[1]

وفي الصفحة 87 عد المؤلف العلامة المؤرخ "شريف سيدي محمد الطيب القادري"، من نبغاء الجزائريين ويذهب أحد الكتاب المغاربة إلى أن ذلك وهم، فإن المذكور من أهل فاس ولد بفاس 1124هـ/ 1712م، وتوفي 1187هـ/ 1773م.[2]

وعندما تحدث عن تاريخ الصحافة في الجزائر وعدد الصحف والمجلات العربية التي تصدرها، أهمل مجلة إفريقية التي صدرتفي العاصمة تحت إدارة مؤسسها "بودي لوي" سنة 1919م، كما أهمل ذكر منطقة جريدة "صدى الصحراء" وذلك ب بسكرة، فالمدني أهمل في بعض المواقع تحديد التاريخ الهجري باسم المسيحيين مثل قوله في تاريخ بلدة "القرارة" ص 211، أنها تأسست في منتصف القرن 11، دون ذكر التاريخ الهجري أو الميلادي، و جعل العمر الرسمي للدولة 132 سنة، ووافق علىألايتجاوز 130 سنة.[3]

أما فيما يخص كتاب "محمد عثمان باشا داي الجزائر"، فقد أظهر المدني يظهر حبه وميله للحكم العثماني بشكل عام، ومحمد عثمان باشا بشكل خاص، فنجده يردد رحمه الله كثيرا، وهذا ما يبرز عاطفته كما يرويها، حيث كان يهتم بالجانب السياسي والعسكري بشكل خاص، ولم نر اهتماما خاصا بالجانب الاجتماعي ، وعندما ذكر مشاهير العلماء والكتابذكر فقط السنة الهجرية، فكان عليه أن يضع التاريخ الميلادي المقابل ويطبقه على جميع الصفحات.[4]

والملاحظ أيضا عن توفيق المدني أنه لم ينتبهبشكل واضح ومركزلحدث فتح وهران سنة 1792م، على يد "محمد باي الكبير"، خاصة وأن هذا الفتح من أكثر حدث مهم، حيث

---

[1] بلقاسم ميسوم، الكتابات التاريخية الجزائرية، ص 190.

[2] المرجع نفسه، ص 191.

[3] نفسه، ص 191.

[4] بلقاسم ميسوم الكتابات التاريخية، ص 202- 203.

تحققت السيادة الكاملة على الوجود الأيبيري، ورغم هذه النواقص إلا أنها لا تؤثر على "توفيق المدني"، حيث أصبح مؤرخ الامبراطورية العثمانية بالجزائر، ومرجعية لكل من يريد الوصول إلى الحقيقة في هذه الفترة.[1]

كما نجد المدني في كتابه "جغرافية القطر الجزائري" قال أن سكان الجزائر ينقسمون إلى ثلاثة أقسام بينما ذكر قسمين فقط ويتضح هذا من خلال قوله[2]: «وينقسم سكان الجزائر إلى ثلاث أقسام أولهما المسلمون وثانيهما الأوروبيون».

أما مذكرات أحمد توفيق المدني، فتظهر ضدها أصوات تنكر وتنفي بعضما ذكره، مبررةتعاملها مع الرجال والقضايا الوطنية، وتذل آخرين وتستخف بهم.

وذكر في مذكراته أنه هو الذي دعا إلى انشاءهيئة العلماء المسلمين، وسعى إلى تنفيذها، واقترح مشاركة الطرفين فيها، كما وافقعلىترشيح ابن باديس لها، وهو الذي طور قانونها الأساسي.[3]

تعد كتابات المذكرات عمل جديد في الحياة الفكرية والسياسية بالجزائر، وهو أن يعود الانسان ويراجع عمله، وعلاقاته مع نفسه، ويروي أخباره في صورة ذاتية تعتمد على رواية القصص والتدخل الشخصي، كان هذا عملا جديدا، وهي ظاهرة ثقافية حضارية تتبنى تقاليد الكتاب الغربيين الذين برعوا في هذا المجال.[4]

وعن تجربة المدني كتب الدكتور بشير التليلي[5]: "كنا نأمل منذ عدة سنين أن الرواد ... والمناضلين من الحركات المختلفة والمنظمات الاجتماعية والسياسية في المغرب المعاصر

---

[1]المرجع نفسه، ص 204.

[2]أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائري، ص 71.

[3]بلقاسم ميسوم، الكتابات التاريخية، ص 173- 174.

[4]أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر، 7/ ص 450.

[5]بشير التليلي، "حول مذكرات حياة كفاح"، الأصالة، 54- 55، (1978)، ص 103.

يمدوننا بمذكراتهم ورواياتهم وذكرياتهم، مما ينظر طريق المؤرخ المتعطش للأخبار والتفاصيل والمعطيات الواقعية، والتعليلات المعمقة والإيضاحات...".

وعن أهمية كتابة المذكرات أضاف أن فائدة وإسهام وأهمية مذكرات وذكريات الشخصيات السياسية المغاربية، فيما يتعلق بدراسة الوثائق، تتعلق ببعض جوانب التاريخ، حتى لو كانت تتسم بالحماس والعاطفة، والحزبية والتوجيه الذاتي النابض بالحياة، حتى لو كانت محملة بالتفاصيل والمشاعر، فإنها توفر مع تمحيص المؤرخ، الأضواء والتفسيرات والبيانات والوثائق الأصلية غير المنشورة سابقا، وعناصر الهوية الأخرى، والاعترافات والأبعاد الأخرى والمعلومات مما تنقله نصوص الأرشيف.[1]

بدأت الشخصيات المغاربية في تأليف وتنشر مذكراتهم، وبالتالي المساهمة بلا شك ، في إثراء جوانب من التاريخ المعاصر، بما في ذلك مذكرات "حياة كفاح" لأحمد توفيق المدني.[2]

في نهاية السبعينات من القرن العشرين نشر المدني مذكراته، التي تعتبر كتابامهمةبعنوان "حياة كفاح"، قدم خلالها المؤلف تعريفا لقصة حياته وتجاربه، كما كان شاهد على عصره، كتبه بأسلوب مثير للاهتمام وأفكار واضحة، وعبارات متسقة، ألقى خلالها نظرة على الأحداث والحقائق التي عاشها، ومن خلال هذه المذكرات تمكن من جمع وثائق مهمة تفيد الباحثين في التاريخ.[3]

صدرت المذكرات في ثلاثة أجزاء سنوات 1976م، 1977م، 1982م، وهي تشكل جوهر المسيرة النضالية على مستوى الجسد والفكر، فهذه المذكرات "حياة كفاح" تجاوزت صفحاتها ألف والثلاثمائة بل هي بالضبط 1386 صفحة تعطي صورة حية عن كفاحالرجل وعناده، وصمود أمة على أعداءناجحين مختلفين، والرجل أدرك الموت دون يكمل الجزء

[1] المصدر نفسه، ص 104.

[2] نفسه، ص 105.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر، 7/ ص 456- 457.

الرابع المتعلق بمرحلة الاستقلال، وهي فترة دقيقة مرت فيها الجزائر بالكثير من السلخ، والاستغلال والتآمر المحبوك بالادارة استعمارية.

وبقدر ما تحتوي هذه المذكرات على حقائق وانتصارات ونكسات، فإنها تحتوي أيضا على الكثير من روح أحمد توفيق المدني السياسي، والمفكر والكاتب.[1]

تناول الجزء الأول من هذه المذكرات الفترة ما بين 1905- 1925م، التي عاشها في تونس، ووفقالبشير التليلي، فإن مذكرات المدني لم تسهم فقط في الإجابة على عدة علامات استفهام، بل ساهمت أيضا في سد الفجوات في تاريخ تونس المرتبط بها بعد الحرب العالمية الأولى.

من المعروف أن المدني عاش فترة شهدت تطور تونس المعاصرة بين سنوات 1905-1925م، بصفتهأحد مؤسسي ومسؤولي الحزب الدستوري الحر، ولأنه شارك بعمق في كل احداث المجتمع الجليلة، وفي الفكر الاجتماعي والسياسي حتى يوم طرده من البلاد، سلطت مذكراته أضواء جديدةحول كوكبة من الاسئلة التونسية حول نقاط خاصة في نشاطات الدستوريين والمصلحين، وعن شخصيات العصر، وهي تزودنا بوثائق استثنائية لم تنشر في السابق، ومن ناحية أخرى تصحح لنا المذكرات الجوانب الأساسيةللحياة الاجتماعية والأدبية والفنية في تونس في فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى، فهي سخية إعلامية للمؤرخ ، فهي وتطلعنا على العديد من القضاياالإسلامية المتوسطية، و تأثيرها العميق على البلاد.[2]

أما الجزء الثاني، فيتناول مرحلة المد الوطني، والنضال الوطني، بروحها الدينية، كما تجسدها الفكر الإصلاحي من 1925 حتى 1954م، فقد عرض فيه صورة للواقع الاجتماعي الجزائري ، وألقى الضوء على مسهاماته في الحركة العلمية والإصلاحية الممثلة بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين،والتي ساهم في تأسيسها وتفعيل نشاطها الدعوي عبر

[1] عمر بن قينة، "أحمد توفيق المدني المفكر والكاتب المنسي"، 20/ 04/ 2023، 13:30 https://oulama.dz

[2] بشير التليلي، حول مذكرات، ص 105.

البلاد الجزائرية والصحفي، كما تناول نشاطه السياسي بعد الحرب العالمية الثانية، إضافة إلى الحديث عن شخصيات تعامل معها أمثال: "الشيخ مبارك ميلي" و "بشير التليلي"، و "عبد الحميد بن باديس" وغيرهم.[1]

بينما قدم الجزء الثالث مرحلة مهمة من تاريخنا الوطني، مرحلة ثورة التحريري الكبرى 1954- 1962م، وأهم الأحداث التي ترتبت عليها.

و أشار المدني إلى النهج الذي اتبعه في كتابة المذكرات، من أجل إبراز شخصيته في مجرى الأحداث، وهذا ما أكده في مقدمة الجزء الثالث[2]: "فإن كنت خلال هذا الجزء من كتابي، أو خلال ما سبقه وما سيتبعه بحول الله، أستعمل عبارات: قلت، فعلت، رأيت، سمعت، فتلك هي العبارات التي يستعملها الشاهد وهو يدلي بشهادته، ويقول: ما شهدنا إلا بما علمنا".

تباينت ردود الفعل والمواقف، حيال هذه الأعمال واختلفت التعليقات بين المديح والنقد، ومن بين تلك المواقف التي رصدناها كتعليق على الجزء الأول من المذكرات ما كتبه بشير التليلي، الذي رأى أن القسم الأول، بلا نزاع مساهمةقيمةللغاية وفيه درس للعالم على أي حال، فهو يساهم في إعادة النظر في معلوماتنا التاريخية، و تصحيحها على أقل تقدير، وبالنسبة إليه فإن قراءة ما قدمه المدني أمر شيق للغاية في القراءتين الأولى والثانية، وه مثير للاهتمام بالمعنى النبيل للمصطلح، معتبرا أن البحث المقدم هو مرجع أساسي للتاريخ الإسلامي المتوسطي المعاصر.[3]

[1] مولود عويمر، مسألة التاريخ عند الأستاذ أحمد توفيق المدني (1899- 1983)، مجلة الدراسات التاريخية، 01 (2008)، ص 109.

[2] أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، 3/ ص 13.

[3] بشير التليلي، حول مذكرات، ص 106.

ويذهب عبد الكريم بوصفصاف إلى القول أن المدني هو المؤرخ الجزائري الوحيد، الذي جمع بين الذاتية الجزائرية والإقليمية المغاربية، في كتاباته التاريخية، وهو من طلائع المؤرخين الجزائريين الذين بدأوا في البحث في التاريخ القديم والحديث.[1]

وقد جاء في رأي عمر بن قينة أن صفة النرجسية كخاصية المبالغة من سماتالتعبير عند المدني في كتاباته وخطاباته، وحتى في حديثه لوسائل الإعلام المرئية والمكتوبة، وهي أمور تتعلق بالمكونات النفسية للشخصية، وتلك النزعة و العيوب البشرية الأخرى، التي قد تكون في كل شخص، وهوما وبخه بعض معاصريه لا سيمامن كانوا في جمعية العلماء.[2]

وتعليقا على المذكرات بأجزائها الثلاثة، خلص أحد الكتاب إلى أنها تعتبر من أهم كتب الكتابات التاريخية، وأن المؤرخ أو طالب التاريخيجب أن يمتلك هذا المؤلف الشهير، و خاصة الذي يدرس تاريخ شمال إفريقيا، وخاصة تونس والجزائر.[3]

[1] عبد المومن إبراهيم، الكتابات التاريخية في الحركة الوطنية الجزائرية، المقاومة والدعوة إلى وحدة المغارب (1920-1954)، دورية كان التاريخية، 45 (2019)، ص 96.

[2] عمر بن قينة، اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1995، ص 102.

[3] مدني بشير، أحمد توفيق المدني معلم من معالم المدرسة التاريخية الجزائرية، وسام براس للإعلام والنشر والإشهار، الجزائر 1998، ص 148.

خاتمة:

خاتمة:

في ختام دراستنا لموضوع "مشروع الإصلاح في فكر أحمد توفيق المدني، فإننا نخلص إلى الاستنتاجات التالية:

لعبت الظروف البيئية والأسرية دورا كبيرا في تكوين شخصية المدني، وصناعة مستقبله السياسي والعلمي على الصعيدين الوطني والعربي، وفي مقدمة هذه الظروف والدته ، وذلك من خلال القيم الدينية والأخلاقية التي تربى عليها، دون أن ننسى فضل والده الذي تعلم منه صفات الرجولة والتضحية، بالإضافة إلى الوسط الأسري الذي ترعرع فيه المدني كان يناقش مختلف الأفكار السياسية والقضايا التحررية ويبدي موقفه الرافض للاستعمار، فعلى الرغم من الوضع المادي الميسور نسبيا لأسرته، فإنه لم يتوان يوما في حمل هموم الأمة والدعوة إلى الوحدة والتضامن بين أفرادها.

تتلمذ المدني على يد الشيوخ الذين كانت لهم قدرة علمية وكفاءة عالية وفضل كبير في تكوينه،لاسيما حسين حسني عبد الوهاب الذي أخذ منه دروس التاريخ فأعجب بمنهجه وتأثر بشخصيته.

بالإضافة إلى علاقته بالصحافيين والكتاب هي أيضا كان لها أثر في ظهور شخصيته ودخوله في مجال الصحافة، من أمثال هؤلاء "حسين الجزيري"، كما أن احتكاكه بجيل من السياسيين ، سمح له باكتساب تجربة سياسية وظفها في مشواره النضالي الطويل من أمثال " عبد العزيز الثعالبي" وغيره .

و بعد نفيه إلى الجزائر عام 1925م، مع العلم أنه كان مقيما مع أسرته في تونس، كان له دور في المجال الصحفي ، حيث يعتبر صحفي ومؤرخ وخطيب ثائر يهدف إلى التعبير عن رأيه لإنقاذ أبناء بلده والمحافظة على هويتهم وثقافتهم ودينهم من خلال مقلاته في الجريدتين اللتان برزا فيهما وهما الشهاب والبصائر.

كما أبدى المدني أيضا اهتماما بالغا بالفن المسرحي ودعا إلى بعث فرق مسرحية لتنشيط الركود الفني، لخدمة الثقافة العربية الأصيلة.

فبقدوم المدني إلى الجزائر كان الأثر الايجابي على الحركة الإصلاحية فيها، حيث ساهم بالإضافة إلى كل ما ذكرناه في تأسيس نادي الترقي سنة 1927م، حيث تحول إلى حركة ثقافية وسياسية واسعة لأبناء الجزائر، حيث بدأوا يتطلعون إلى مستقبل جديد، نشأت بفضل هذا النادي العديد من الجمعيات التي لعبت دورا كبيرا في النهوض بالحركة الوطنية الجزائرية ونشاطها في توعية الشعب الجزائري، وحثها على ضرورة التمسك بمقومات الشخصية الجزائرية التي حددتها في الدين واللغة والوطن، بالإضافة إلى

مساهماته في الساحة السياسية الوطنية الجزائرية، حيث سجل كل إمكاناته لفضح السياسة الاستعمارية والإجراءات التعسفية المطبقة ضد الشعب الجزائري، وذلك في إطار الدفاع عن القضية الجزائرية ، من أهم هذه الأعمال:

- على الساحة السياسية مشاركته في تحرير بيان الشعب الجزائري عام 1943م، مع فرحات عباس الذي يعبر عن آمال وتطلعات الأمة الجزائرية وسعيها لتحقيق الاستقلال، بالإضافة إلى تأسيس الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها التي ظهرت بعد مجازر 08 ماي 1945 .

أما بالنسبة لموقف المدني من الاستعمار في كل الأقطار العربية،فقد أبدى دفاعه المستمر عن قضاياها، إذ ساند مختلف الحركات التحررية، وكان ينادي بالوحدة المغاربية والوحدة العربية الشاملة.

كما أبدى اهتمامه الكبير بالقضية الفلسطينية التي تعتبر قضية العرب والمسلمين عامة، إذ ندد بالتواطؤ العربي الذي رأى أنه السبب الرئيس لضياعها، وأشار أيضا إلى المؤامرات الدولية التي حيكت ضد الشعب الفلسطيني بهدف سلخ فلسطين عن انتمائها العربي والإسلامي، حيث دعا المدني إلى ضرورة الإتحاد من أجل تحرير فلسطين.

و حارب بشدة سياسة التجنيس وبين الخطر الذي يهدد الأمة المغاربية من وراء هذا المشروع، أما عن الطرق الصوفية فقد اعتبرها من القضايا الحساسة، وعن قضية الظهير البربري التي كانت تهدف إلى إخراج المغربيين عن تعاليم الدين الإسلامي، أكد المدني على التمسك بدينهم الحنيف.

اعتبر المدني المسائل الاجتماعية من أخطر التحديات التي واجهتها الأمة الجزائرية، ومن ثمة تسعى إلى معالجتها بما يستجيب لطموحات وتطلعات المجتمع الجزائري. أما بالنسبة للواقع الثقافي المعاصر، فقد لعب دورا كبيرا في تنشيطه،أين ظهر ذلك بشكل واضح في طرح العديد من القضايا الثقافية التي تحتاج إلى إصلاح من أجل التصدي للغزو الثقافي الفرنسي، فمن أبرز تلك الجوانب نجد التعليم العربي، حيث عمل المدني على فرض شخصيته لنشر العلم والمعرفة الدينية الإسلامية وإعلاء شأن اللغة العربية وتنوير الشعب الجزائري وانتشاله من الأمية نساء ورجالا، وإخراجهم من قوقعة الجهل وظلمات البدع والخرافات.

يعد المدني من بين المؤرخين الجزائريين الأوائل الذين دخلوا غمار إحياء التاريخ الوطني الجزائري وإيقاظ همم الجماهير من خلال كتاباته .

حيث تعد كتابات المدني تراثا تاريخيا الواجب على الأجيال الاهتمام به، لأن مقاومته بالقلم لا تقل أهمية عن المقاومة بالسلاح، فالهدف الذي سعى من وراء هذه الكتابات هو بعث الأمة الجزائرية إلى الحياة من جديد.

قائمة البيبليوغرافيا:

قائمة البيبليوغرافيا

المصادر

الجرائد والمجلات

الشهاب

1- أبو اليقظان في حمى النادي الشهاب 10 12 أوت 1934

2-أحمد توفيق المدني، كلمة أخيرة، الشهاب،100، 9جوان 1927.

3-الشهاب،6 جوان 1930.

4- الشهر السياسي في عالمي الشرق والغرب الشهاب 5، جويلية 1937

5- الشهر السياسي في عالمي الشرق والغرب، الشهاب أوت 1937

6-المنصور بين الموت والحياة الشهاب، 3، أفريل 1930

7-المنصور كلمة مرة لأنها صريح الحق ولباب الواقع الشهاب 13 نوفمبر 1937

8-إلى متى؟ في الشمال الإفريقي الشهاب ، 1، فيفري 1939

9-اليوم الأغر في عاصمة الجزائر الشهاب 16 أفريل 1934

10-عبد الحميد بن باديس كتاب الجزائر كذلك وبمثل ذلك يؤدي الواجب أيها الواجب الناشىء الشهاب 3، مارس 1932

11-عبد الحميد بن باديس محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791، الشهاب، 7، سبتمبر 1937

12-في الشمال الإفريقي الشهاب 9، نوفمبر 1937

13-في الشمال الإفريقي، الشهاب، 7، أكتوبر 1935

14-في نادي الترقي: احتفال عظيم ومأدبة إكرام للحجيج الشهاب 160

15-محمد العاصمي أعظم ناد بالجزائر وإن كان بعد 100 عام الشهاب 108 4 أوت 1927

16-محمد العاصمي مشهدان عظيمان بالعاصمة الشهاب 122 17 نوفمبر 1927

البصائر

1-أبو محمد ،في الشمال الإفريقي، البصائر، 105، 30 جانفي 1950

2-أبو محمد ،من أبي محمد، البصائر، 89، 8 أوت 1949

3-أبو محمد ،منبر السياسة العالمية، البصائر، 76، 18 أفريل 1949

4- أبو محمد، الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامه: أعظم موقف تتخذه الجزائر المجاهدة في تاريخها الحديث، البصائر، 167، 13 أوت 1951

5-أبو محمد، حول المأساة ،البصائر، 145، 5 مارس 1951

6-أبو محمد، في الشمال الإفريقي، إعانة التعليم الحر، البصائر، ،167 13 أوت 1951

7-أبو محمد، في الشمال الإفريقي، البصائر ،145، 5 مارس 1951

8-أبو محمد، في الشمال الإفريقي، البصائر، 122، 5 جوان 1950

9- أبو محمد، في الشمال الإفريقي، البصائر، 146، 12 مارس 1951

10-أبو محمد، في الشمال الإفريقي، البصائر، 147، 19 مارس 1951

11-أبو محمد، في الشمال الإفريقي، البصائر، 149، 2 أفريل 1951

12-أبو محمد، في الشمال الإفريقي، البصائر، 150 ،9 أفريل 1951

13-أبو محمد، في الشمال الإفريقي، البصائر، 241، 25 سبتمبر 1953

14-أبو محمد، في الشمال الإفريقي، وزير البناء والمسكن في الجزائر، البصائر، 245، 30 أكتوبر 1953

15-أبو محمد، في المجلس الجزائري، البصائر، 186، 7 أفريل 1952

16-أبو محمد، كلمة هادئة، منبر السياسة العالمية، البصائر، 10، 13 أكتوبر 1947

17-أبو محمد، منبر السياسة العالمية، البصائر، 125، 3 جويلية 1950

18-أبو محمد، منبر السياسة العالمية، البصائر، 182، 1 فيفري 1952

19-أحمد توفيق المدني، مبارك الميلي مؤرخ الجزائر، البصائر، 26، 8 مارس 1948

20-القطر الجزائري كشقيقه القطر التونسي لا يقبل على مخالفي الديانة، البصائر، 7، 14 فيفري 1936

21-تونس المجاهدة، البصائر، 182، 1 فيفري 1952

22-عبد اللطيف القنيطري، إلى أبي محمد، البصائر، 88، 25 جويلية 1949

23-نغمة شاذة، البصائر، 149، 2 أفريل 1951

24- البشير الإبراهيمي، كيف تشكلت الهيئة العليا لإعانة فلسطين، البصائر، 52، 11 أكتوبر 1948

جريدة الإصلاح

1-أحمد توفيق المدني، رحلة وزير الداخلية مسيو ديبرو بالقطر الجزائري، الإصلاح 47، 1 ماس 1947

2-أحمد توفيق المدني، يوم08 ماي، الإصلاح، 48، 8 ماي 1947

3-العيادة الطبية المجانية لفقراء الجزائر، الإصلاح، 55

4-في نادي الترقي: اجتماع عظيم للمطالبة بنقل حي الفساد من المدينة العربية، الإصلاح،49، 17 ماي 1947

المنار

1-الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها تقف أمام الأمة، المنار، 8 ،31 أوت 1951

2-الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها مولود جديد يحتاج إلى عناية، المنار، 7، 15 أوت 1951

3-تصريح مشترك، المنار،9، 5 أكتوبر 1951

4-محمود بوزوزو، بارقة أمل خطوة كبيرة في سبيل تحقيق الإتحاد القومي، المنار، 6، 30 جويلية 1951

المجلات والدوريات

1-إبراهيم عبد المومن، الكتابات التاريخية في الحركة الوطنية الجزائرية " المقاومة والدعوة إلى وحدة المغارب(1920-1954)، دورية كان التاريخية، 45، (2019).

2-التليلي بشير، حول مذكرات حياة كفاح، الأصالة، 54-55، فيفري- مارس 1978.

3-المدني أحمد توفيق ، عبد الحميد بن باديس الرجل العظيم، الأصالة، 44، (أفريل 1977).

4-الهشماوي مصطفى، حالة العربية أثناء فترة الاحتلال أو التعليم العربي في الجزائر في القرن 19 وأوائل القرن 20، مجلة اللغة العربية، العدد الممتاز.

5-بودلاعة رياض، الهوية الوطنية في خطاب رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أحمد توفيق المدني 1899-1983أنموذجا، مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطية، 1، (2023).

6-بوشنافي محمد، الكتابة التاريخية في الجزائر العهد العثماني نموذجا، عصور الجديدة، 3-4، (2011-2012).

7-بوطيبي محمد، بواكير كتابة تاريخ الجزائر خلال النصف الأول من القرن 20(كتابات أحمد توفيق المدني أنموذجا)، مجلة تاريخ العلوم، 13،(2020).

8-تلي رفيق، نفي محمد بن يوسف من طرف السلطات الفرنسية، دراسة في ظروف وملابسات النفي ومواقف وردود الفعل المغربية والاسبانية، مجلة متون، 2(2020).

9-خليفي عبد القادر، الكتابة التاريخية وبعث الوطنية الجزائرية في ظل الحقبة الكولونيالية دراسة نماذج من إسهامات أحمد توفيق المدني خلال الفترة 1931-1950.

10- رحاي محمد، من أعلام الحركة التحررية في المغرب العربي، علال الفاسي أنموذجا، المستقبل العربي، 432،(2015).

11- سعد الله أبو القاسم، منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر، الأصالة، 14-15، جويلية- أوت 1973.

12- صيود هادية، أحمد توفيق المدني الوسيط النضالي بين تونس والجزائر من خلال مؤلفه حياة كفاح، عصور الجديدة، 8، (2017).

13- عجناك بشي يمينة، المرأة في كتابات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، جامعة الجزائر02.

14- علواني صالح، قراءة في كتاب هذه الجزائر للمناضل الجزائري والمؤرخ أحمد توفيق المدني،2، مجلة الموروث(2013).

15- عويمر مولود، مسألة التاريخ عند الأستاذ أحمد توفيق المدني(1899-1983)، مجلة الدراسات التاريخية،1 (2008).

16- غالم محمد، براديغما المقاومة في الخطاب التاريخي الإصلاحي: أحمد توفيق المدني نموذجا، مجلة عصور الجديدة، 3-4، (2011-2012).

17- قبال مراد، قضايا المرأة الجزائرية من خلال صحيفة الشهاب (1925-1939)، دراسات تاريخية،1(2021).

18- قريشي محمد، أزمة السكن ومشكل الإيواء بالجزائر خلال الفترة 1930و 1954، حوليات التاريخ والجغرافيا، 12(2017).

19- قشي محمد، تجليات البطل المقاوم في المسرح الجزائري" المسرحية حنبعل" أحمد توفيق المدني أنموذجا، مقاليد، 13(2017).

20- متشاط عبد الغني، جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تدوين تاريخ الجزائر" مبارك الميلي وأحمد توفيق المدني أنموذجا، مجلة دراسات في التنمية والمجتمع، 2(2022).

21- معوشيآمال،أحمد توفيق المدني لمحة عن إسهاماته الثقافية ودوره الدبلوماسي في الثورة الجزائرية، مجلة البحوث التاريخية،1(2019).

22- ناصر محمد، واقع اللغة العربية في الصحافة الإصلاحية في الجزائر، الأصالة ،17، الجزائر(1973).

23- واضح مداني، أحمد توفيق المدني بين مشروع النهضة الثقافية والقضية الوطنية في الجزائر 1925-1954، مجلة تاريخ المغرب العربي،1(2022).

الكتب

1- ابن العقون عبد الرحمان بن إبراهيم، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، 1، 1920-1926، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984.

2- ابن العقون عبد الرحمان بن إبراهيم، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، 2، 1936 – 1945، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر.

3-ابن العقون عبد الرحمان بن إبراهيم، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، 3، 1945- 1954، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

4-الإبراهيمي محمد البشير، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981

5-المدني أحمد توفيق ، المسلمون في صقلية وجنوب إيطاليا،2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985.

6-المدني أحمد توفيق ، حياة كفاح (مذكرات)، 2،الشركة الوطنية للتوزيع، الجزائر،1983.

7-المدني أحمد توفيق ، مذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1974

8-المدني أحمد توفيق ، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1956.

9-المدني أحمد توفيق ،جغرافية القطر الجزائري للناشئة الإسلامية، الجزائر1948.

10-المدني أحمد توفيق ،قرطاجنة في أربعة عصور من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1974.

11-المدني أحمد توفيق حياة كفاح، (مذكرات)، 3، الشركة الوطنية ، الجزائر، 1982.

12-المدني أحمد توفيق، المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

13-المدني أحمد توفيق، حياة كفاح،(مذكرات)، 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1988.

14- المدني أحمد توفيق، رد أديب على حملة الأكاذيب، دار البصائر، الجزائر2013

15-المدني أحمد توفيق، كتاب الجزائر، عالم المعرفة، الجزائر،2010.

16-الورتلاني الفضيل، الجزائر الثائرة، دار الهدى،عين مليلة، الجزائر، 1992.

17-حماني أحمد، صراع بين السنة والبدعة، دار البعث، الجزائر، 1984.

18-خير الدين محمد، مذكرات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

19- عباس فرحات، حرب الجزائر وثورتها – ليل الاستعمار، ترجمة أبو بكر رحال، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب.

المراجع

1-الزمرلي الصادق، أعلام تونسيون، تعريب ،حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.

2-الصلابي علي محمد، الشيخ الجليل عمر المختار، نشأته وأعماله واستشهاده، الشبكة الليبية.

3-العسلي بسام، جهاد شعب الجزائر" عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية، ط7، دار النفائس.

4-العلوي محمد الطيب، مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830 حتى ثورة نوفمبر 1954، دار البعث، قسنطينة، 1985.

5-الميلي محمد، ابن باديس وعروبة الجزائر، دار الثقافة، بيروت، 1973.

6-الوناس الحواس، نادي الترقي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية 1927- 1954، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2012.

7-أمحمد مالكي، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994.

8-بشير مدني، أحمد توفيق المدني معلم من معالم المدرسة التاريخية الجزائرية، وسام براس للإعلام والنشر والإشهار، الجزائر 1998.

9- بصري مير، أعلام الوطنية والقومية العربية، دار الحكمة، بيروت، 1999.

10-بلخوجة الطاهر، الحبيب بورقيبة سيرة زعيم، دار الثقافة، القاهرة.

11- بن قينة عمر، اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1995.

12-بوصفصاف عبد الكريم، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1945، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة 1981.

13-بوصفصاف عبد الكريم، جمعية العلماء وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931-1945، دراسة تاريخية وايديولوجية مقارنة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، طبع المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر والإشهار، الجزائر1996.

14- بوعزيز يحي، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1983.

15-تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الوطنية، الشركة الوطنية، الجزائر 1975.

16-جوليان شارل آندري، افريقيا الشمالية تسير (القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية)، الدار التونسية ، 1979.

17-حرب محمد، العثمانيون في التاريخ والحضارة، المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي، القاهرة، 1994.

18-حسني حسن عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، ط3، دار الكتب العربية الشرقية، تونس، 1953.

19-سعد الله أبو القاسم، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1990.

20-سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945،ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

21-سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1830- 1954، ج7، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995.

22-سعد الله أبو القاسم، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ط5، دار الرائد للكتاب، الجزائر 2007.

23-شرفي عاشور، قاموس الثورة الجزائرية(1954- 1962)، ترجمة عالم مختار، دار القصبة، الجزائر.

24- صاري الجيلالي، قداش محفوظ، الجزائر في التاريخ: المقاومة السياسية 1954 الطريق الإصلاحي والطريق الثوري، ترجمة عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1987.

25-طالبي عمار، آثار ابن باديس ، الشركة الجزائرية، الجزائر، 1968.

26-عبد الرحمان عواطف، الصحافة العربية في الجزائر 1954-1962، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

27-عبد القادر حميد، فرحات عباس رجل الجمهورية، دار المعرفة، الجزائر، 2001.

28-فضلاء محمد حسن ، من أعلام الإصلاح في الجزائر،1، دار الهومة، 2002.

29-قنانش محمد، الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين 1919-1939، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

30-محفوظ محمد، تراجم المؤلفين التونسيين،4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985.

31-مراد علي، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، ترجمة محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر،2007.

32-مرتاض عبد المالك، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925- 1954، النهضة الفكرية- النهضة الصحفية والأدبية- النهضة التاريخية، ط2، الشركة الوطنية، الجزائر 1983.

33-ناصر محمد، الصحف العربية الجزائرية من 1847إلى 1954، ط2، الجزائر، 2006.

34-نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر،ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1980.

35-هلال عمار، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830-1962)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1997.

المراجع باللغة الفرنسية

1-MouhamedTeguia, l'algérie en guerre office des publication universitaires, alger, 1988.

الأطروحات الجامعية

1-العمري مومن، شعار الوحدة ومضامينه في المغرب العربي أثناء فترة الكفاح الوطني، دكتوراه، جامعة قسنطينة، 2009- 2010.

2-برابح بلقاسم، الكتابة التاريخية عند الشيخ أحمد توفيق المدني، مذكرة ماستر، جامعة بوضياف، المسيلة،2017-2018.

3-بلعجال أحمد، الخطاب الإصلاحي عند الشيخ محمد السعيد الزاهري، مذكرة ماجستير، قسنطينة، 2006.

4-بلقاسم ميسوم، الكتابة التاريخية الجزائرية خلال الفترة الاستعمارية 1830-1962، دراسة تحليلية، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر2، 2010-2011.

5-بن عدة عبد المجيد، الخطاب النهضوي في الجزائر (1925- 1954)، رسالة دكتوراه،جامعة الجزائر، 2004-2005.

6-حميدي أبو بكر الصديق ، القضايا العربية من خلال جريدة البصائر(السلسلة الثانية 1947-1956)، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2003-2004.

7-حورية بن فضة، الجزائر في عهد الحاكم العام نايجلان(1948-1951)، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2011.

8-خليفي عبد القادر، أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر 1899-1983، مذكرة ماجستير، جامعة قسنطينة، 2006-2007.

9-طهاري نجية، بناء الشخصية في المسرح أحمد رضا حوحو، مذكرة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2010-2011.

10-عوفن محمد، إسهامات الشيخ أحمد توفيق المدني في الثورة الجزائرية 1954-1962، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2017-2018.

11-كعوان فارس، المؤرخون الجزائريون ونمو الوعي التاريخي،1830-1962، مساهمة في التاريخ الثقافي والفكري، رسالة دكتوراه، جامعة منتوري، قسنطينة.

12-معزة عزالدين، فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الاستقلال(1899-1985)، مذكرة ماجستير، جامعة قسنطينة، 2004.

المواقع الإلكترونية

1-علواني صالح، أحمد توفيق المدني التونسي الجزائري المصلح والمناضل من خلال مذكراته(1915-1925)/ 08 أفريل 2023. http://academie-edu/com

2-عمر بن قينة،أحمد توفيق المدني المفكر والكاتب المنسي، 20 أفريل 2023.

http://oulama.dz.

فهرس الموضوعات:

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
مقدمة:	2
الفصل الأول: مقومات الفكر الإصلاحي لأحمد توفيق المدني	
تمهيد:	9
I- العوامل المؤثرة في تكوين شخصية أحمد توفيق المدني:	10
1- بيئة النشأة:	10
أ- البيئة الأسرية:	10
ب- عبد العزيز الثعالبي والمدرسة القرآنية:	11
ج- حادث سينما النونيز:	12
د- دكان علي بوغدير:	12
هـ- الأوضاع السائدة:	13
2- تأثير الكتب:	14
أ- رواية الوطن ونشيد صوت الحرية:	14
3- تأثير الشخصيات التاريخية:	15
أ- الأستاذ حسين الجزيري، الصادق الرزقي، حسين حسني عبد الوهاب:	15
ب- عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي:	15

II- وسائل تحقيق المشروع:	17
1- الصحافة:	17
* المدني والشهاب:	19
* المدني والبصائر:	21
*المدني والإصلاح:	24
2- الجمعيات الأدبية والفنية:	26
*الفن المسرحي:	26
*تأسيس نادي الترقي:	28
*الجمعية الخيرية الإسلامية:	32
*جمعية الفلاح:	34
* جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:	35
الفصل الثاني: القضايا الإصلاحية في فكر أحمد توفيق المدني1925- 1954	
تمهيد:	41
أولا: القضايا السياسية	42
I- إسهامات أحمد توفيق المدني في مختلف التنظيمات السياسية في الحركة الوطنية الجزائرية	43
1- مشاركة أحمد توفيق المدني في بيان الشعب الجزائري 1943، ودعمه لحركة الاستقلال الجزائرية:	43

2- مشاركة أحمد توفيق المدني الفعالة في الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية والاستقلال، والذي ساهم في إنهاء الاستعمار الفرنسي 1951:	46
3- خطاب وموقف أحمد توفيق المدني تجاه الاستعمار والاستقلالية:	49
II- نظرة أحمد توفيق المدني للاستعمار في العالم العربي:	51
1- القضية التونسية:	51
2- القضية المغربية:	53
3- القضية الليبية:	55
4- القضية الفلسطينية:	56
III- موقف المدني من بعض القضايا من خلال كتاباته في الجرائد:	60
1- قضية التجنيس والتمييز العنصري في الجزائر:	60
2- الاحتفالات المئوية للاستعمار الفرنسي في الجزائر:	62
3- رؤيته للطرق الصوفية ودورها في المجتمع الجزائري:	63
4- قضية المسألة البربرية (الظهير البربري) في الجزائر:	65
ثانيا: القضايا الاجتماعية:	67
1- مشكلة الإيواء (السكن):	67
2- الصحة العامة:	69
3- مسألة المرأة:	72
ثالثا: القضايا الثقافية:	74

1- الدفاع عن اللغة العربية والاهتمام بالتعليم:	74
2- الدين الإسلامي:	78
الفصل الثالث: توفيق المدني: دفاع مستميت عن الهوية الوطنية عبر تدوين تاريخ الجزائر	
تمهيد:	82
I- التاريخ والهوية:	84
II- جهود المدني في تدوين تاريخ الجزائر:	88
* الكتابات ذات بعد وطني:	89
* حول البعد القاري:	90
III- أعمال أحمد توفيق المدني في ميزان المعاصرين:	92
1- المؤيدين لأعمال أحمد توفيق المدني:	92
2- المنتقدين لأعماله:	95
خاتمة:	103
قائمة البيبليوغرافيا	107

ملخص:

يعد أحمد توفيق المدني من الشخصيات التي كان لها أهمية كبيرة في المجتمع الجزائري حاول النهوض بأمته والدفاع عن قضية بلاده، معتمدا على نهج الإصلاح الذي جاهد من أجله، وتحليل الأسس والقيم التي قام عليها فكره الإصلاحي، وأثره على المجتمع الإسلامي والتطور الفكري للأمة وكذلك العوامل التي ساهمت في تشكيل شخصيته فتكوين رؤيته الإصلاحية

Summary:

Ahmledtawfiq Al- Madani is considered one of the figures who had great importance in Algerian society he tried to advance his nation and defend the cause of his contry, relying on the approach of reforme that he strived for term and an analysis of the foundation and values upon which his reformist thought was based, and its impact on the islamiccommnity and the intellectual develepment of the nation, as well as the factors that contribited to the formation of his personality, form his vision correctional.